

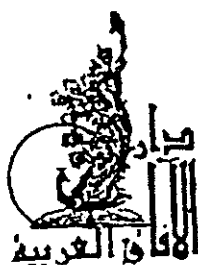
شرح مقصود ابن زيد

في فنون الشعر والحكمة والموعظة والأدب والغزل

تأليف

أبي بكر بن الحسن بن دريد الأزدي

(ت ٥٣٢١هـ)



obeikandi.com

جميع الحقوق محفوظة للناسخ
الطبعة الأولى

٢٠٠٣-١٤٢٣ هـ

٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١٠١٦٤

٢٠٠٣ / ٢٢٣٠	رقم الايداع
977 - 344 - 062 - 1	I.S.B.N الترقيم الدولي



obeikandi.com

التعريف بالامام ابن دريد

نسبه السامي^(١)

هو الامام أبو بكر محمد بن الحسين^(٢) بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن حمى ابن واسع ابن (كذا) وهو ابن سلمة بن حنتم بن حاضر بن حنتم بن ظالم بن أسد بن عدى بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهير ويقال زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان . فهو عربي الأرومة ، شريف النسب .

مولده المبارك ووفاته

ولد بالبصرة في عصر العلم الذهبي ، عصر هارون وولده المأمون ، سنة ٢٢٣ هجرية . وتوفي ببغداد سنة ٣٢١ هـ . وشيعه جلة من المبرزين في العلم آسفين على فراق علم العلم والأدب ، رغم حقد من لم يبلغوا فيها شأوه .

نبوغه بين طبقات عصره

كان العلامة ابن دريد إمام سره في اللغة والأدب والنحو والصرف والشعر الفائق ، من مشاهير علماء الطبقة الرابعة الذين نبغوا في بدء عهد الدولة العباسية المبتدأة بخلافة أبي العباس ، السفاح ، الذي يوقع له في سنة ١٣٢ هـ وهو آخر عهد بني أمية ، ففقد السفاح على البقية الباقية منهم ، ولذا سمي بالسفاح ولم ينبج منه إلا عبد الرحمن الداخل الذي فر إلى الأندلس وأسس

(١) ملخصاً من بنية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، وتاريخ آداب اللغة العربية للمرصني ، وجورجي زيدان ، وغيرهم من مشاهير المؤرخين .

(٢) هكذا في بنية الوعاة وطبقات المؤرخين لكن صحح الأستاذ الأديب مصطفى السقا أن اسم أبيه الحسن لا الحسين فأثبتنا ما صححه في الديباجة .

بها دولة حكمت ٢٥٠ سنة ، ثم توفي السفاح سنة ١٣٦ هـ فبويح لأخيه
أبي جعفر المنصور سنة ١٣٧ هـ .

وفي عصره وبعلمه ومهنته وحسن ثقافته علا شأن اللغة العربية وأخصبت
رياضها ، وأينعت ثمارها ، وتفتحت براعم وردتها ، وباهت علماء الدنيا
بجهادتها ، فتكونت أربع طبقات علمية ، إليها يرجع الفضل في نشر معارف
الدين الحنيف ، وتحقيق سمو بلاغة القرآن الشريف ، ورفع منار اللغة
العربية إلى حد مشرف لدى نصرائها وخصومها ،

أجل بنوابع هذه الطبقات الأربع رفلك اللغة العربية في أبهى ثيابها ، وأغفر
جليها ، ولا سيما في عصر الخلفيتين الجليلين «هرون الرشيد وولده عبد الله
المأمون» من سنة ١٧٠ - ٢١٧ هـ . فقد كانت لهما الأيادي البيض في تدرج
العلوم العقلية واللغة العربية إلى حد الكمال .

ذلك بفضل ما كانا يهبانه رجال العلم من عظيم الإكبار ، ونهاية الاعتبار ،
وحفظ المقدار ، مما جعل الطبقات الأربع ترتفع في هذا الوادي المنصب ،
المتعرعر بالهطل الهني .

الطبقات الأربع ومن أخيرتها ابن دريد

١ - طبقة الفقهاء : وهم الأئمة المجتهدون أصحاب المذاهب المدونة ، أولهم سيدنا :

مالك بن أنس : عالم المدينة المولود في سنة ٩٣ هـ المتوفى بها في سنة ١٧٩ هـ
ينتهي نسبه إلى قحطان .

أبر حنيفة النعمان : هو ابن ثابت المولود في سنة ٨٠ هـ المتوفى ببغداد
سنة ١٥٠ هـ يكنى بالأمام الأعظم .

محمد بن إدريس الشافعي : يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف
ولد بعزة الشام بفلسطين سنة ١٥٠ هـ وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ ودفن بها

أحمد بن محمد بن حنبل : حجة أهل الحديث أخذ عنه ببغداد البخارى
ومسلم ، ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفى ببغداد سنة ٢٤١ هـ .

٢ - طبقة المحدثين : وهم الأئمة الثقات الذين اشتغلوا بتدوين الحديث

وتصحيح روايته ونقله ، أولهم سيدنا مالك بن أنس جامع الموطأ ، وقد
أدخله البخارى فى صحيحه لصحة روايته كلها ، ومنهم أصحاب الكتب الستة
المجمع على صحتها بين أهل الحديث ، وهم فى علو الدرجة على هذا الترتيب :
البخارى محمد بن إسماعيل : وهو أبو عبد الله ، ولد فى شوال سنة ١٩٤ هـ
وتوفى فى غرة شوال سنة ٢٥٦ هـ

مسلم بن الحجاج القشيرى : وهو أبو الحسين ، ولد فى سنة ٢٠٤ هـ
وتوفى فى سنة ٢١١ هـ .

الترمذى محمد بن عيسى : وهو أبو عيسى ، ولد فى سنة ٢٠٩ هـ ، وتوفى
فى سنة ٢٧٩ هـ .

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى : ولد سنة ٢٠٢ هـ ، وتوفى فى
سنة ٢٧٤ هـ .

النسائى أحمد بن شعيب : وهو بكسر النون أبو عبد الرحمن ، ولد سنة
٢١٥ هـ ، وتوفى فى سنة ٣٠٣ هـ .

ابن ماجه محمد بن يونس بن ماجه : وهو أبو عبد الله ، ولد سنة ٢٠٩ هـ
وتوفى فى سنة ٢٧٣ هـ .

وبعض المؤرخين كالاستاذ المرحوم محمد حسن نائل يذكر بدل ابن ماجه
الدارقطنى المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، لكن الكثير عند المحدثين الأول ،
وهو المعتمد فى النقل عنهم .

٣ - طبقة المؤرخين : وتبتدىء بسيدنا عروة بن الزبير رضى الله عنهما ،
المتوفى سنة ٩٣ هـ . وهو الذى قال لابنه هشام : كتبت ؟ قال : نعم ،

قال : عرضت كتابك ؟ قال : لا ، قال : لم تكتب او تمتد إلى العلامة
الثقة محمد بن جرير الطبري المتوفى في سنة ٣١٠ هـ المولود سنة ٢٢٤ هـ .
- طبقة اللغويين والنحاة : وتبتدىء بأستاذ اللغة الخليل بن أحمد الفرهودي
البصري ، صاحب كتاب العين ، أول معجم ألف في اللغة العربية ، مخترع
فن العروض بمقاطعه من نغمات دق قطعتين من الخشب اليابس على
قطعة من النحاس تشبه الطبل ، المتوفى في سنة ١٧٠ هـ . واشتهر الخليل
وبعد صيته بعد إمام كل إمام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه
وكرم وجهه ، وبعد أبي الأسود الدؤلي وولده . وأشهر من أخذ عن
الخليل سيويه إمام النحاة ، والنضر بن شميل النحوي اللغوي الثقة .
وأشهر مشهورى هذه الطبقة من البصريين ثلاثة :

- (١) الخليل بن أحمد الفرهودي .
- (٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الشهير بالأصمعي ، المولود في سنة
١٢٢ هـ المتوفى في سنة ٢١٦ هـ .
- (٣) أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي المترجم له .

شيوخ ابن دريد وتلاميذه

من أشهر شيوخه ثلاثة : عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، وأبو حاتم
السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي .
ومن أشهر تلاميذه : أبو سعيد السيرافي ، والمرزباني ، وأبو الفرج
الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني ، وأبو علي القالي صاحب كتاب الأملالي ،
وابن خالويه النحوي اللغوي الثقة .

مصنفاته

منها الجهرة في اللغة ، والأملالي ، والمجتمعي ، واشتقاق أسماء القبائل ،
والملاحن والمقتبس ، والمقصود والممدود ، والوشاح ، والخيال الكبير ،
والخيال الصغير ، والأنواء ، والسلاح ، وغريب القرآن ، لم يتممه ، وفعلت

وأفعلت ، وأدب الكاتب ، والمطر ، وزوار العرب ، والسرّج واللجام ،
وتقويم اللسان ، لم يبيض ، والمقصورة التي حلّى بها تاج المدوح بها .

أشهر مصنفاته

منها كتاب الجهرة مرجع أهل الأدب ، أملاها بحلب تليذه الإمام
أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، المتوفى في سنة ٣٧٠ هـ على جهابذة
مشاهير ، منهم العلامة أحمد بن عبد الرحمن بن قابوس ، وكانت عند تليذه
أبي على القالي بمنزلة الروح للجسد ، حتى أنه أعطى فيها ثلثمائة مثقال ذهبا
فأبى ! فلما اشتدت حاجته إلى الإنفاق على عياله باعها بأربعين مثقالا 111
وكتب عليها هذه الآيات :

أنست بها عشرين عاما وبعثها وقد طال وجدى بعدها وحنينى
وما كان ظنى أننى سأبيعها ولو خلدتى فى السجون ديونى
ولكن لعجز واقتار وصية صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوا بقى عبرتى مقالة مكوى الفؤاد حزينى
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك كرائم من رب بهن ضنينى
فلما رأى الذى اشتراها هذه الآيات كاد يذوب أسى وعطفا على صاحبها ،
ثم أرسلها إليه ومعها أربعون مثقالا ذهبا أخرى ، فلما وصلته كان كأنما
ردت إليه روحه !

الحاقدون على ابن دريد

وقد حقد عليه خلق كثير من أهل الأدب لإخراجه الجهرة كمعجزة
فى الفن ، ولا سيما وقد أملاها من حفظه فى سنة ٢٩٧ هـ ولم يستعن عليها
بالنظر فى شئ من الكتب إلا فى الهمزة واللفيف ، فقال بعضهم فيه قولا
هراء لينال منه ، وما هو منه بالنائل :

ابن دريد بقره وفيه عى وشره
ويدعى من حمقه وضع كتاب الجهره
وهو كتاب العين إلا أنه قد غيره

وقد أملى ابن دريد هذه الجهره عدة مرات : بفارس ، وبغداد ، والبصرة .
والنسخة المعول عليها نسخة عبيد الله بن أحمد حيث كتبها من عدة نسخ
وقراها على المؤلف ، فأصبحت بهذا العمل الجليل حجة .

الشاهدون بفضله ونبوغه

قال المسعودى فى كتابه « مروج الذهب » : كان ابن دريد ببغداد بمن برع
فى زماننا هذا فى الشعر ، واتهى فى اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ،
وأورد أشياء فى اللغة لم توجد فى كتب المتقدمين ، وكان يذهب بالشعر كل
مذهب ، فطورا يحزل ، وطورا يرق ، وشعره أكثر من أن يحصى ، ومن
جيده قصيدته المشهورة (بالمقصورة الدريدية) التى يمدح بها الشاه بن
ميكائيل وولديه ، وهو الأمير أبو العباس إسماعيل بن عبد الله بن ميكائيل
رئيس نيسابور . أحاط فيها بأكثر المقصور ، وقد عارضه فيها جماعة من
الشعراء أولها :

لما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جزل الغضى
واعتنى بها خلق كثير من المتقدمين والمتأخرين فشرحوها إطنابا وإيجازا
منهم العلامة بن أحمد بن خالويه اهـ

وقال أبو الطيب اللغوى فى مراتب النحويين : ابن دريد هو الذى
انتهت إليه لغة البصريين ، كان أحفظ الناس وأوسعهم علما ، وأقدرهم على
الشعر ، وما ازدحم العلم والشعر فى صدر أحد ازدحاما فى صدر خلف

الأحر، وابن دريد ، وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة ، وكان يقال :
ابن دريد أشعر العلماء ، وأعلم العلماء اه

وقال الخطيب البغدادي : كان ابن دريد واسع الحفظ جدا ، تقرأ عليه
دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وحفظها اه

وقال ابن خالويه في شرح المقصورة : كان ببغداد عباد بن عمر بن الحليس
ابن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارث الكرماني صاحب لغة ، وكان
يطعن على ابن دريد وينقض عليه بالجمهرة ، فجاء غلام لابن دريد فجلس
بجذانه في الجامع ونقض على الكرماني جميع ما نقضه على ابن دريد فقال :
اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ، قال أبو بكر بن دريد - أعزه الله تعالى -
عننت الفرس إذا حبسته بعنانه ، فان حبسته بمقوده فليس بمعن . قال الكرماني
الجاهل : أخطأ ابن دريد لأنه إن كان من عننت يجب أن يكون معنونا ،
وإن كان من أعننت فيجب أن يكون معنا . وأخطأ لكذا وكذا ، فوقف
شاعر على الحلقة فقال : اكتبوا :

أذلت كرماني وعرضتها لجحفل مثل عديد الحصى
وابن دريد غوة فيهم في بحره مثلك كم غوصا
جنا على الركبة حتى إذا أحس نورا قعد القرفصا
والله إن عاد إلى مثلها لأصفعن هامته بالعصا
فلم يلتفت إلى الكرماني بعد ذلك اه .

وقال الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار : جمع ابن دريد ثمانية أسماء في
بيت واحد فقال :

فتم أخو الجلى ومستنبط الندى وهيجاء محزون ومفزع لاهت
وقال محمد بن المعلى في اشتقاق اسم دريد في كتاب الترقيص : أرى أن
اسم دريد من قولهم رجل أدرد . والدرد : ذهاب الأسنان فصغر الاسم
تصغير ترخيم .

وقال جمال الدين ابن الجوزي ملغزا في هذه المقصورة : ما يقول
سيدنا إمام أئمة الأمصار ، وصدر الأقطار ، وجامع مسانيد السير

والأخبار ، في عروس جلبيت في ساعة على بعلين ، وزفت في ليلة إلى محلين
خطباها بظهور السباح ، لا بصدور الرماح ، وملكاها بحل الصحاح ، لا بعقد
النكاح ، وافترعاها في الملا فلم يكن على أبيها ولا عليها من جناح ، وهى من
المشهورات في الأيام ، والمقصورات لا في الخيام ، بأسقة الفرع ، ثابتة
الأصل ، فائزة عند النضال ، بالفضل والإفضال ، جامعة المناقب والفضائل ،
ساحبة ذيل البلاغة على سبحان وائل ؟

نظم ابن دريد

ومن حسن نظمه في وصف النرجس قوله :
عيون ما يلم بها الرقاد ولا يحو محاسنها السهاد
إذا ما الليل صافحها استهلت وتضحك حين ينحبس السواد
لها حدق من الذهب المصنى صياغة من يدين له العباد
وأجفان من الدراستفادت ضياء مثله لا يستفاد
على قضب الزبرجد في ذراها لأعين من يلاحظها مراد
وقوله أيضا وقد ناوله غلامه أبو القوارس طاقة نرجس : ما أصنع بها
اليوم ؟! وأنشد :

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعده
بدء المقصورة وما قيل فيه

قال في بغية الوعاة (فائدة) ابتداء ابن دريد مقصوره بقوله :
إما ترى رأسى حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
فاستغنى بذكر الشرط في قوله إما وتاء الخطاب في قوله ترى عن تقدم
ذكر المخاطب لدلالة المذكور على المحذوف . وقد تكلف الكمال بن الأنباري
نظم أبيات جعلها مطالعا لها فقال :
شرد عن عيني الكرى طيف سرى عن أم عمرو في غياهب الدجى

وَأَشْتَعَلَ الْمُبِيضُ فِي مُسْنَوْدِهِ مِثْلَ أَشْتَعَلَ النَّارِ فِي جَزَلِ الْغَضَا^(١)
فَكَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَلٌّ فِي أَرْجَائِهِ ضَوْءُ صِيَاخٍ فَأَنْجَلَى^(٢)
وَفَاضَ مَاءٌ شَرِيقِي دَهْرٍ رَمَى خَوَاطِرَ قَلْبٍ بِتَبْرِيحِ الْجَوَى^(٣)

من ترين ، والخطاب لمؤنث والثون مدغمة في ما . وحاكي : أشبه . وطرة صبح :
يعنى وجه صبح ، وطرة كل شئ حافته وجانبه ، ومنه طرة الكتاب ، وهى
الحاشية التى لا هذب لها ، ويقال لها كتفه أيضا . الأذيال : الأطراف واحدا
ذيل ، ومنه ذيل القميص . الدجى : الظلمة وهى جمع دجية ، وهو من قولهم
ليل داج أى مظلم .

(١) واشتعل : فشا وانتشر ، من قول الله عز وجل (واشتعل الرأس شيئا)
الجزل : ما غلظ من الخطب . الغضا : ضر . الشجر له جمر يبق طويلا ،
واحد غضة .

[المعنى] إن تبصرى تباريح شوقى إليك ، وتلهفى عليك ، بما أسرع
الشيب إلى رأسى سرعة النار فى وقود يابس قابل للالتهاب ، حتى صار شعر
رأسى المبيض بين الشعر المسود ، كفلق الصبح يغطى ضياؤه غسق الليل
وظلامه - يعنى أن شيب الرأس المشتعل نذير الموت وأمارة الآسى وخور
الاعصاب - لرققت لحالى ، وجدت بوصالى .

(٢) البهيم : الاسود ، ليل بهيم أى لا ضوء فيه إلى الصباح . وحل :
نزل ، قال الله عز وجل (أوتحل قريبا من دارهم) . وأرجاؤه : أطرافه ، وواحد
الأرجاء رجا ، وهى مقصورة قال الله عز وجل : (والملك على أرجائها)
وأما الرجاء من الأمل فمدود . انجلى : ذهب وانكشف قال الله عز وجل :
(لولا أن كتب الله عليهم الجلاء) .

(٣) وفاض : نقص من قوله تعالى : (وغيض الماء) أى نقص ، يقال
غضت الماء ففاض إذا انساب فى الأرض أى غاض وذهب ، وقوله : ماء

وَآضَ رَوْضُ اللَّهْوِ يَبْسًا ذَاوِيًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجَاجَ الثَّرَى^(١)

شرقي : اسم لما شبابه وقوته ، والشباب لاماء له ، ولكنه استعاره وأصل الشرة الحدة والنشاط ، فاستعارها هنا للشباب . الخواطر : الهمم وهو ما يخطر بالقلب من الفكرة وأراد بالخواطر الفطن وحدة القلب والذكاء . والتبريح : البلوغ في المشقة إلى غايتها ، وهو من قولهم يروح بي هذا الأمر إذا بلغ به غاية الحزن . الجوى : سقم الجوف من طول المرض ، وقيل تأثير الحزن في القلب يقال جوى بجوى جوى مثل ضنى يضنى ضنى .

[المعنى] صار الشعر المسود القليل بين المبيض الكثير كالليل الأسود الذى لا ضوء فيه إذا أعقبه الصبح قضى على ظلامه وأزاله - واسوداد شعر الرأس أماراة قوة بقيت في الشباب - وجفف ماء حياتى دهر رمانى فى صميم فؤادى بسهام حبك ، يريد رفقا بما بقى من ماء الحياة ، وعصارة الشباب ، فلا تقضى بتيهك على البقية الباقية منهما ، وقوله الخواطر الهمم : الذى يؤخذ من مراجع اللغة كالمنجد وغيره أن الهمم جمع همة . والهموم جمع هم بمعنى ما خطر بالقلب من الفكر وهو المناسب هنا .

(١) آض : رجع يقال : آض يبيض أيضا . روض اللهو : فى هذا الموضع استعارة ، لأن اللهو لا روض له ، والروض هو المكان المعشب ، وتسميته فى الأرض حقيقة ، وتسميته فى اللهو مجاز ، والروض بهذا اللفظ جمع ، الواحدة روضة مثل نور ونورة وجوز وجوزة ، ويجمع أيضا على رياض مثل صحفة وصحاف ، ويجمع أيضا على روضات مثل بيضة وبيضات ، وقوله ييساً أى يابسا . ذاوياً : ذابلاً ، المجاج : الصباب من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه على قشره الأعلى ، ومج الرجل الماء إذا ألقاه من فيه . ومجاج الثرى أيضا مثله ، وإنما يعنى بهذا القول أيام شبابه شبهاً بروضة وماء يقول آضت هذه الروضة أرضاً ميتة لا منفعة فيها . الثرى : التراب التدى مقصور . وأما الثراء بالماء فالغنى والسعة .

وَأَشْتَعَلَ الْمُبَيِّضُ فِي مُسْوَدِّهِ مِثْلَ أَشْتَعَلَ النَّارِ فِي جَزَلِ الْغَضَا^(١)
فَكَانَ كَاللَّيْلِ الْبَهِيمِ حَلًّا فِي أَرْجَائِهِ ضَوْءُ صِيَاحٍ فَأَنْجَلَى^(٢)
وَفَاضَ مَاءٌ شَرِّقِي دَهْرٍ رَمَى خَوَاطِرَ قَلْبٍ بِتَبْرِيحِ الْجَوَى^(٣)

من ترين ، والخطاب لمؤنث والنون مدغمة في ما . وحاكي : أشبه . وطرة صبح :
يعنى وجه صبح ، وطرة كل شئ حافته وجانبه ، ومنه طرة الكتاب ، وهي
الحاشية التي لاهذب لها ، ويقال لها كتفه أيضا . الأذيال : الأطراف واحدا
ذيل ، ومنه ذيل القميص . الدجى : الظلمة وهي جمع دجية ، وهو من قولهم
ليل داج أى مظلم .

(١) واشتعل : فشا وانتشر ، من قول الله عز وجل (واشتعل الرأس شيئا)
الجزل : ما غلظ من الخطب . الغضا : ضر . الشجر له جمر يبق طويلا ،
واحدة غضة .

[المعنى] إن تبصرى تباريح شوقى إليك ، وتلهفى عليك ، مما أسرع
الشيب إلى رأسى سرعة النار فى وقود يابس قابل للالتهاب ، حتى صار شعر
رأسى المبيض بين الشعر المسود ، كفلق الصبح يغطى ضياؤه غسق الليل
وظلامه - يعنى أن شيب الرأس المشتعل نذير الموت وأمارة الأسى وخور
الأعصاب - لرققت لحالى ، وجدت بوصالى .

(٢) البهم : الأسود ، ليل بهم أى لا ضوء فيه إلى الصباح . وحل :
نزل ، قال الله عز وجل (أوتحل قريبا من دارهم) . وأرجاؤه : أطرافه ، وواحد
الأرجاء رجا ، وهي مقصورة قال الله عز وجل : (والملك على أرجائها)
وأما الرجاء من الأمل فممدود . انجلى : ذهب وانكشف قال الله عز وجل :
(لولا أن كتب الله عليهم الجلاء) .

(٣) وفاض : نقص من قوله تعالى : (وغيض الماء) أى نقص ، يقال
غضت الماء ففاض إذا انساب فى الأرض أى غاض وذهب ، وقوله : ماء

وَأَضَ رَوْضُ اللَّهْوِ يَبْسًا ذَاوِيًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ مَجَاجَ الثَّرَى ^(١)

شرقي : اسم لما شبابه وقوته ، والشباب لأماء له ، ولكنه استعاره وأصل الشرة الحدة والنشاط ، فاستعارها ها هنا للشباب . الخواطر : الهمم وهو ما يخطر بالقلب من الفكرة وأراد بالخواطر الفطن وحدة القلب والذكاء . والتبريح : البلوغ في المشقة إلى غايتها ، وهو من قولهم يروح بي هذا الأمر إذا بلغ به غاية الحزن . الجوى : سقم الجوف من طول المرض . وقيل تأثير الحزن في القلب يقال جوى يجوى جوى مثل ضنى يضنى ضنى .

[المعنى] صار الشعر المسود القليل بين المبيض الكثير كالليل الأسود الذي لا ضوء فيه إذا أعقبه الصبح قضى على ظلامه وأزاله - واسوداد شعر الرأس أماره قوة بقيت في الشباب - وجفب ماء حياقي دهر رمانى في صميم فؤادى بسهام حبك ، يريد رفقا بما بقى من ماء الحياة ، وعصارة الشباب ، فلا تقضى بتيهك على البقية الباقية منهما ، وقوله الخواطر الهمم : الذى يؤخذ من مراجع اللغة كالمنجذ وغيره أن الهمم جمع همة . والهموم جمع هم بمعنى ما خطر بالقلب من الفكر وهو المناسب هنا .

(١) آض : رجع يقال : آض يبيض أيضا . روض اللهو : فى هذا الموضع استعارة ، لأن اللهو لا روض له ، والروض هو المكان المعشب ، وتسميته فى الأرض حقيقة ، وتسميته فى اللهو مجاز ، والروض بهذا اللفظ جمع ، الواحدة روضة مثل نور ونورة وجوز وجوزة ، ويجمع أيضا على رياض مثل صحفة وصحاف ، ويجمع أيضا على روضات مثل بيضة وبيضات ، وقوله ييسأ أى يابس . ذاوياً : ذابلاً ، المجاج : الصباب من قولهم مع الغصن الماء إذا ألقاه على قشره الأعلى ، ومع الرجل الماء إذا ألقاه من فيه . ومجاج الثرى أيضا مثله ، وإنما يعنى بهذا القول أيام شبابه شهباً بروضة وماء يقول آضت هذه الروضة أرضاً ميتة لا منفعة فيها . الثرى : التراب الندى مقصور . وأما الثراء بالمد فالغنى والسعة .

وَضَرَمَ النَّأْيُ الْمُشْتِ جَذْوَةً مَا تَأْتِي تَسْفَعُ أَثْنَاءَ الْحَشَا^(١)
وَأُنْخَذَ التَّسْهِيدُ عَيْنِي مَأْلَفًا لَمَّا جَفَا أَجْفَانَهَا طَيْفُ السَّكْرَى^(٢)

(١) ضرم: أى أشعل وأوقد. النأى: البعد يقال نأى نأياً نأياً إذا بعد قال الله عز وجل (أعرض ونأى بجانبه) وقال: (وهم يبنون عنه وينأون عنه). المشت: المفرق يقال أشت يشت إذا فرق فهو مشت، وشت يشت شتاً إذا تفرق هو، والقوم الاشتات المتفرقون واحدهم شت. قال الله عز وجل: (يومئذ يصدر الناس أشتاتاً) أى متفرقين، وفي الاثنين شتان مثل الزيدان. الجذوة: الجمرة العظيمة، وقيل الجذوة القطعة من الخشب تحترق فتبقى منها بقية قال الله عز وجل (أوجدوة من النار لعلكم تصطلون) وقوله. ما تأتلى: أى ما تقصر، وتأتلى وزنه تفعل من قولهم ما ألوت أن أفعل كذا أى ما قصرت. قال الله عز وجل: (ولا يأتل أرلوا الفضل منكم والسعة) أى لا يقصر. تسفع: تحرق وقيل تسفع تؤثر من قولك سفعته النار إذا أحرقته وتركت في جسمه آثاراً. وأثناء الحشا: يعنى مارق من البطن، وأراد به القلب والجوف، وقيل أثناء الحشا أى نواحى الحشا:

[المعنى] عاد جسمى الغض البض الفشيظ بقوة الشباب - وقد كان شديها بالروضة الغناء الخضرة النظرة طيبة التربة يجرى في قنواتها الماء العذب فيروها وينمى ما فيها - عوداً يابساً ذاوايا ذابلاً مريضاً لا تماسك بين أجزائه، وقد عده لهوه ومرحه وتحركه، وأوقد نأيك وبعدك عنى في هذا الهيكل ناراً تتأجج تكاد تذيب ما تلتهب فيه بين الضلوع والحشا.

(٢) التسهيد: والسهاد السهر وهو فقد النوم. مألفاً أى صاحباً والمألّف: هو الموضع الذى تقع فيه الألفة أى الاجتماع والصحبة مثل المحضر والمشهد فأقام المألّف معنا مقام الألف، والألف هو الصاحب، والمألّف هو الموضع فأقام المألّف معنا مقام الألف (٢ - ابن دريد)

فَكُلُّ مَا لَا قِيَّتُهُ مُغْتَفَرَةٌ فِي جَنْبِ مَا أَسَارَهُ شَحَطُ النَّوَى^(١)
لَوْلَا بَسُّ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ بَعْضُ مَا يَلْقَاهُ قَلْبِي فَضْضٌ أَصْلَادَ الصَّفَا^(٢)

وقوله . جفا : أى هجر ، والجفوة والجفا الهجران يقال : جفاني فلان إذا هجرني ، والجاني أيضا في غير هذا : الخشن . الأجفان : أغطية العيون واحدها جفن بمنزلة جفن السيف وهو غمده . الطيف : ما يراه الانسان من خيال محبوبته . الكرى : النوم .

(١) قوله . مغتفر : أى متجاوز عنه متروك ، ومنه قولهم في الدعاء غفر الله لك . معناه تجاوز الله عنك ، وأصل الغفران التغطية ، ومنه سمي مغفر الدرع مغفراً لأنه يغطي الرأس فقول الداعي : اللهم اغفر لنا ذنوبنا : معناه اللهم غطها واسترها وقوله . أساره : أى أبقاه . والسور : البقية ، وفي الحديث : إذا شربتم فاستروا ، أى أبقوا بقية في الإتياء . وإنما يريد بهذا الكلام أن يهون على نفسه زمان شبابه وكبره عند اغترابه .

[المعنى] من شدة ما أصابني من نار بعادها امتلاً رأسي بالأفكار في شخصها المحبوب حتى اتخذ السهاد أى الأرق عيني ما لقا وما وى حين هجر أجفانها طيف النوم ، فأنى يغمض لى جفن ما دام خيالها غير حاضر في منامى فلا شهد لأحضره في يقظتى . وكل الذى ألاقه وأتسكده من الأرق وتعب السهاد مغتفر مستور قليل إذا قيس بما أبقاه بين جنبي شحط النوى ومر الفراق من ألم مبرح ولهيب محرق .

(٢) لابس : خالط . الأصم : الصلب . فض : كسر ، وأصل الانفضاض التفرق قال الله تعالى (وإذا رأوا تجارة أو هواً انفضوا إليها) أى تفرقوا . الأصلاد : جمع صلد وهى الحجارة الصلبة الشديدة قال عز وجل : (فتركه صلداً) . الصفا : الصخر " صلاب ، والواحدة صفاة والمذكر صفوان ، قال الله تعالى (كمثل صفوان عليه تراب) .

إِذَا ذَوَى الْغُصْنُ الرُّطِيبُ فَأَعْلَمَنْ أَنْ قُصَّارَاهُ نَفَاذٌ وَتَوَى^(١)
 شَجِيتٌ لَا بَلَّ أَجْرَضَتْنِي غُصَّةٌ عَنْوُودُهَا أَقْتَلُ لِي مِنَ الشَّجَى^(٢)
 إِنْ يَحْمِ عَنْ عَيْنِي الْبُكَاءَ تَجَلَّدِي فَأَلْقَلْبُ مَوْقُوفٌ عَلَى سُبُلِ الْبُكَاءِ^(٣)

(١) قوله . ذوى : أى جف وذبل ، يقال ذوى يذوى ذيا وذويا وفى الحديث « إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستاك وهو صائم يعود قد ذوى ، الرطيب : الناعم الرطب . قصاراه . آخر أمره ومنتهاه وغايته . النفاد : الفناء ، والذهاب ، والانقطاع ، والفراغ . التوى : بالياء المنقوطة باثنتين من فوق هو الهلاك ، والثواء بالياء المثثة ممدودة الإقامة . قال الله عز وجل : (وما كنتم ثاوياء فى أهل مدين) أى مقبها .

[المعنى] لو حل بعض ما يتحملة قلبى من لظى جواها ، وخرجفاها ، بصخر صلب صلد قوى يابس ، لتفككت أجزاءه وتلاشت قوته . فلا عجب أن يذوى جسمى الغض الرطيب ، ويتراجع إلى التلاشى والهلاك ، كما يذوى العود الأخضر النضر بعد تكامل نموه ليصير إلى الفناء والهلاك ، فأكبر شاهد على تباريح شوق وهيامى نحول جسمى .

(٢) شجيت : أى حزنت فالشجا الحزن ، والشجا أيضاً الغصص ، والغصص الاختناق يقال من ذلك : شجى يشجى شجا إذا غص بالشئ . أجرضتنى : أى خنقتنى غصة الموت ، والجرض هو الاختناق بالريق ، يقال شجيت بالعظم ، وغصصت باللقمة ، وشرقت بالماء ، وجرضت بالريق ، وفى المثل حال الجريض دون القريض . عنودها : معارضها وهو ما عاند منها أى معارض . الشجا : الحزن ويقال له الشجو أيضاً يقال شجى يشجى ، وشجا يشجو شجواً ، فالأول من ذوات الياء ، والثانى من ذوات الواو .

(٣) إن يحم : إن حرف شرط ، ويحم جزم بالشرط ، وجوابه مدخول

لَوْ كَانَتْ الْأَحْلَامُ نَاجَتْنِي بِمَا أَتَقَاهُ يَقْظَانُ لِأَضْمَانِي الرَّدَى^(١)

الفاء في قوله . فالقلب : وقوله يحم يمنع . التجلد : التصبر . السبل : الطرق واحدها سبل ، وعنى بذلك الهوى الذى يأتى البكاء من أجله وسببه . البكا : يمد ويقصر . [المعنى] حزنت حزن الشكى ، وغصصت برىقي وما عاند منه فى المسيح حتى كان وقوفه فى حلقى ، وتردده فى فمى ، أضر على من الحزن الدفين . وإن منع دمع عيني تجلدى وتصبرى ومجاهدنى لجيش البكاء فالقلب الحزين الذائب شوقاً وحنيناً وتلهفاً لا يقوى على دفع البكاء الملح الغالب .

(١) الأحلام : جمع حلم ، وهو ما يراه الانسان فى منامه قال الله عز وجل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) . ناجتنى : أخبرتنى يقول لو كانت الأحلام أرتنى الأمر الذى رأيته فى اليقظة لهلكت عند ما أرى فى المنام . اليقظان : الذى ليس بنائم وجمعه أيقاظ . قال الله عز وجل : (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) . لأصمانى : أى لقتلى مكانى بلا تأخير ، والإصماء القتل دون تلبث ، والتلبث : المكث ، يقال رمى فلان الصيد فأصماه أى أصاب مقتله فان لم يصب مقتله قبل رماءه فأشواه ، والشواه : إخطاء المقتل قال ابن مقبل : أرمى النحور فأشوها وتلبنى تلم الإثاء فأغدو غير منتصر قال الأصمى : يقال أشواه إذا لم يصب مقتله ، وشواه بغير ألف إذا أصاب منه المقتل ، والشوى فى غير هذا الموضع البدان والرجلان . قال امرؤ القيس :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفال
والشوى أيضاً : الشيء الهين الحقير ، قال الشاعر :

وكننت إذا الأيام أحدثن ما كذا أقول شوى مالم يصبن صميمى
أى هين ، ويقال : كل ذلك شوى ماسلم دينك ، أى هين مالم يصب دينك ،
لأن المصيبة أعظم ما تكون فى الدين ، وهى فى غير الدين صغيرة ، ومنه

مَنْزِلَةٌ مَا خِلْتُهَا يَرْضَى بِهَا لِنَفْسِهِ ذُو أَرْبٍ وَلَا حِجَابٍ^(١)
شَيْمٌ سَحَابٍ خُلِبَ بَارِقُهُ وَمَوْقِفٌ بَيْنَ أَرْتِجَاءٍ وَمُنَى^(٢)

قولهم في الدعاء ، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ،
والشوى أيضاً : رذال المال قال الشاعر :

وإنك ما سليت نفساً شحيحة عن المال في الدنيا بمثل المجاوع
أكلنا الشوى حتى إذا لم ندع شوى أشرنا إلى خيراتها بالأصابع
والشوى أيضاً : جمع شواة وهي جلدة الرأس ، قال الله عز وجل (إنها لظي
نزاعة للشوى) أى لجلود الروس وقال الأعشى :

قالت قتيلة ماله قد جللت شيئا شواته
أم لا أراه كما عهدت صحاوأقصر عاذلاته

الردى : الهلاك وتصريفه ردى ردى ردى . قال الله عز وجل (واتبع
هواه فتردى) : أى قتهلك .

(١) قوله . منزلة : أى درجة وجمعها منازل وقوله . ما خيلتها : أى ما حسبتها
ذو أرب : أى ذو عقل يقال فلان أرب أى عاقل ، الحجي : العقل أيضاً .

[المعنى] : لو أنى أشعر فى منامى بما أشعر به فى يقظتى من ألم النوى
المبرح ، وانقطاع الوداد ، وبعد الأمل : هلكتك حين أياس على وسادى ،
وما نفعتى جلادى . وتلك المنزلة والدرجة التى بلغت من ضعف القوى ،
ووهن العزيمة ، بحيث لا يملك الجسم تراجعه إلى ما يحميه ، أو يقويه ،
لأحسب أن عاقلا يرضى بها لنفسه ، مادام قوى الشكيمة ، سليم الوجدان .

(٢) الشيم : النظر إلى البرق خاصة ، ولا يقال شمت الرجل بمعنى نظرت
ولكن يقال شمت البرق إذا نظرت إليه من أى النواحي يأتى . الخلب :
الذى لا ماء فيه .

فِي كُلِّ يَوْمٍ مَنَزَلٌ مُسْتَوْبِلٌ يَشْتَفُ مَاءً مُهَجِّي أَوْ مُجْتَوِي^(١)
مَا خَلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يُثْنِي عَلَيَّ ضَرَاءٌ لَا يَرْضَى بِهَا ضَبُّ الْكُدَى^(٢)
أَرْمَقُ الْعَيْشَ عَلَى بَرَضٍ فَإِنْ رُمْتُ أَرْضًا سَافَرُمْتُ صَعْبَ الْمُنْتَشَى^(٣)

(١) المنزل : الموضع الذي ينزل فيه . المستوبل : المستقل . المجتوى : المستكره ، قوله يشتف : أى يستقصي ، والاشتفاف الاستقصاء ، يقال اشتف فلان ما فى الاناء إذا استقصاه . المهجة : النفس ، وجمعها مهج ، وقيل المهجة دم القلب ، والمجتوى المسكروه ، يقال اجتويت البلاد إذا كرهتها ، وإن كانت موافقة لك ، واستوبلتها إذا لم توافقك وإن كنت غير كاره لها .
[المعنى] إن نظرى إلى ما يقربها منى وأملى فى وصلها وتدانيها كنظر الانسان إلى البرق الخاطف ، والسحاب المترقق وسط الصحراء ، يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ، وإن موقفى معها لا أمل منقطع ، فأتسلى عنها ، ولا وصل حاصل فأتمتنع ، بل كل ما عندى رجاء وأمانى ، ومنى : جمع منية كمدى جمع مدية بمعنى أمنية ، على حين أرانى كل يوم فى موضع بغيبض يمتص ماء مهجى وقلبي يقصد ما قصدته بقولى فى الشكاية :

والفكر فى المحبوب نار تلتظى والقلب وقد والضلوع الموقد

فأين تكون الهناء مع هذا الاحتراق ١١٢

(٢) ما خلت : أى ما توهمت . ويثني : يردنى ويعطفنى ، يقال ثناه يثنيه إذا عطفه . الضراء : الصخرة الصماء وقيل الضراء الأرض المشرفة ، والضرب مولع به أبدا ، والضراء ما يؤخذ من الضر الذى هو ضد النفع ، ويجمع على ضراوات على القياس ، وقال الاخفش لا واحد لها . الضب : واحد الضباب وهى دواب تسكن الأرض الصلبة . الكدى : جمع كدية .

(٣) قوله أرمق العيش : أى أسدده وأقطعه عن التعليل ، واختلف قول أبى بكر فيه فقال مرة أرمق بكسر الميم وقال مرة أرمق بفتحها فاذا كان أرمق

أَرَا جِعُ لِي الدَّهْرُ حَوْلًا كَامِلًا إِلَى الَّذِي عَوَّدَ أَمْ لَا يُرْتَجَى ^(١)
يَا دَهْرُ إِنْ لَمْ تَكُ عُثْبِي فَاتَّيِدْ فَإِنَّ إِرْوَادَكَ وَالْعُثْبِي سَوَا ^(٢)

بكسر الميم كان الفعل مبنيًا للمعلوم والفاعل أنا ، وإذا كان أرمق بالفتح كان الفعل لغيره على ما لم يسم فاعله فكان التقدير أعطى منه بقدر ما يمسك رمتي وهو مقدار القوت . البرض : العطاء القليل ، وقال بعض اللغويين البرض القليل من الماء وقوله . فان رمت : أى هممت وقيل عاجلت . الارتشاف : أن يستقصى شرب ما فى الاناء ، وهو دون الاشتفاف فى الاستقصاء ، والاشتفاف عندهم عيب . المنتشى : المطلب البعيد .

[المعنى] ما كنت أظن أن الزمن يحملنى على أن أكون كمن آوى إلى الارتقاء إلى صخرة صماء ، صعبة المرتقى ، جافية الأيام ، ليس لديها ما ينقع الغلة ، ويزيل العلة ، حتى لا يرضى بمقامها ضب الجبل الشغوف بالأيام يواء تحت الصخور ، وأجدنى أتعاطى من العيش ما يسد رمتى ، ويحفظ بعض ماء الحياة قانعا بالقليل غير طامع إلى الكثير ، حيث لى عليل بل إذا طلبت المزيد تعلقت بالمطلب البعيد .
[١] المعنى : هل يسمح الدهر بهناء كانت ، فيعيد الزمن السعيد الذى مضى بوصل لا ينسى حلاه ، وحبور لا يحمد مداه ، أم لا يرتجى منه أن يعيد شيئاً مما مضى ، ولا حولاً كاملاً بما غير ، فان أمس الدابر لا يعود وإذا انقضى الشباب فلن يعوض ؟ !

(٢) العتبى : الرضى وهو الرجوع إلى المراد . فائتد : أرفق يقال من ذلك اتأد يتأد اتئاداً ، واسم الفاعل متئد . والإرواد : الرفق والمهل ، أرود يرود إرواداً فهو مروود ، ويقال أرود به أى أرفق ، ومنه قوله عز وجل : (فهل الكافرين أمهلهم رويداً) . سوا : أى مثل ومستو .

[المعنى] يا دهر إن لم ينفع العتاب معك فى رفقك لحالى ، وتحقيق آمالى ، فائتد وأرفق بى وتمهل ولا تسرع فى تعذيبى ، فانى وطنت النفس على ما يرضيك فأروادك بى ، وعتابك لى بعد هذا سواء ، أى سيات عندى متماثلان .

رَفَهُ عَلَى طَالَمَا أَنْصَبْتَنِي وَأَسْتَبِقَ بَعْضُ مَاءِ غُصْنٍ مُلْتَحَى ^(١)
لَا تَحْسَبَنَّ يَادَهُرُ أَتَى ضَارِعٌ لِنَسْكَةٍ تُعْرِفُنِي عَرَقَ الْمُدَى ^(٢)
مَارَسْتَ مَنْ لَوْ هَوَتْ الْأَفْلَاكُ مِنْ جَوَانِبِ أَلْبُو عَلَيْهِ مَا شَكَ ^(٣)

(١) قوله . رفه : أى وسع على ، ورغد عيشى . أنصبتنى : بالصاد غير المعجمة أتعبتني من النصب وهو التعب ؛ ويروى أنصبتني بالضاد المعجمة وياء بعدها نقطتان من تحتها بمعنى هزلتني وأضعفتني ، والضنى الهزال يقال من ذلك ضنى بضنى ضنى إذا ضعف وهزل ، وأضناني المرض أهزلنى .

(٢) الملتحى : المقشر يقال لحوت العود ألحوه لحوا ، ولحيته أيضاً ألحاه لحيا ، واللحاء قشر العود ، الضارع : الدليل الخاضع النسكة : المصيبة والشدة . تعرقى : أى تزيل لحمى عن عظمى من قولهم عرقت العظم أعرقه عرقاً إذا أكلت ما عليه من اللحم . المدى : السكا كين واحدها مدية .

[المعنى] ارحمنى برغد العيش فطالما أذقتنى كؤوس التعب والنصب ، واستبق بعض عصارة بقيت من ماء حياتى فلا خير فى عود ييس ولا جسم ذوى ، وكفى هزال جسمى وضياع لحمى كعود قشر جلده فالتحى ، ثم لا تظنن أنى دليل لنسكة ومصيبة ذبحتنى ذبح السكين لحيوان حى فأتى صبور شكور : وتجلدى للشامتين أريهم أنى لرب الدهر لا أثر عزع

(٣) مارست : عالجت وقيل خالطت وقيل فاسدت . هوت : سقطت يقول لوسقطت عليه الأفلاك بالشائد والمصائب ما شكاك ذلك إلى أحد الأفلاك : هى التى تجرى فيها الشمس والقمر والنجوم ، واحدها فلك الجور : الهواء الذى بين السماء والأرض

لَكِنَّهَا نَفْثَةٌ مَّضْذُورٍ إِذَا جَاشَ لُغَامٌ مِنْ نَوَاحِيهَا نَعْمًا^(١)
رَضِيْتُ قَسْرًا وَعَلَى الْقَسْرِ رَضَى مَنْ كَانَ ذَا سُخْطٍ عَلَى صَرْفِ الْقَضَا^(٢)

(١) قوله . لكنها . الهاء والألف كناية عن هذه القصيدة التي قالها .
والنفثة : ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق ، يقال نفثت الحية تنفث نفثة ونفثا
إذا ألقت ريقها ، وذلك الريق سم قاتل . المصدور : الذي يشتكى صدره
ومنه المثل : لا بد للمصدور أن ينفث . وقوله . جاش لغام : أى علا وارتفع ،
يقال جاشت إليه نفسه أى ارتفعت ، وقيل جاش اجتمع ، وكذلك
جاشت النفس : اجتمعت والأول أصح قال الشاعر :

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

اللغام : الزبد وهو ما يلقيه البعير من فيه ، يقال لغم البعير يلغم لغامة
إذا رمى اللغام وهو الزبد ، والمलगم الغم ، ومنه تلغمت بالطيب إذا جعلته في
ملاغمك ، والملاغم ما حول الغم ، وهى جمع ملغم ، ويقال أيضا لغمت الشيء
ألغمته لغما إذا خلطته فالتغم أى اختلط وقوله . من نواحيتها . أى من جوانبها .
غما بالغين المعجمة : سقط يقال غما البعير الزبد إذا رماه ينفض رأسه ومشفره
يتناثر من فيه ، ويقال غما : غطى من قولهم : غميت الإناء إذا غطيته .

(٢) قوله : رَضِيْتُ قَسْرًا أى منعًا . والقسر : المنع يقال قسرت فلانا
عن كذا أى منعته . والقسر أيضا : القهر على المكروه ، يقال قسره على كذا
أى قهره عليه . السخط : الغضب .

[المعنى] رميت بمكايدك من هو أصلب من الحديد ، وأقوى على الدهر
من مكاييد الدهر ، من لو سقطت خطوط الأفلاك وشواظها النارية على جسمه
ما شكا وقعها ، ولا أن الحدوثها ومصايبها ، غير أن هذه القصيدة المفيدة
للتشكايّة المعبرة عن الآنين ورفيع الألم نفثة مصدور . جرت بها عادة من ازدحم
صدره بما يفيض عنه كما يحش صدر البعير فيرتفع زبده إلى فيه ويتساقط

إِنَّ الْجَدِيدِينَ إِذَا مَا أَسْتَوَلِيَا عَلَى جَدِيدِ أَذْنِيَاهُ لِلْبَلِي (١)

من جوانبه ، على أنى راض على القهر ، مقسور غير مختار ، وإنما يقسر على الرضا من لا يقدر على تغيير تصارييف القضاء .

(١) الجديدان : الليل والنهار ، وكذا الأجدان ، والعصران ، والملوان قال :

ألا يا ديار الحى بالسبعان أمل عليها بالبللى الملوان
والأسودان : التمر والماء . والأسودان أيضا : الليل والحره ، والأبيضان
اللبن والماء ، والأصفران : الذهب والزعفران ، والأحمران اللحم والخمر ،
والأطيان النوم والنكاح ، والأعذبان : الريق والخمر ، والحجران : الذهب
والفضة ، والأزهران : الشمس والقمر ، والقمران أيضا : الشمس والقمر ،
والخافقان : المشرق والمغرب ، والثقلان : الإنس والجن . ومثل هذا كثير ،
ومذهب العرب فى هذا الضرب من الكلام إذا كان الشيطان يتواخيان
ينسب الأنكر منهما إلى الأشهر كقولهم العمران فى أبى بكر وعمر ، فنسبوا
أبا بكر إلى عمر ، لأنه أقام فى الناس أكثر من أبى بكر يعنى أنه دامت مدة
خلافته أكثر مما دامت خلافة أبى بكر لأن أبا بكر كانت مدة خلافته سنتين ،
وثلاثة أشهر وتسع ليال ، وكانت خلافة عمر عشر سنين وستة أشهر وخمس
ليال فلذلك صار عمر أشهر من أبى بكر ، وقال بعض النحويين : إنما يغلب هنا
الأخف على الأثقل كقولهم القمران للشمس والقمر . فغلبوا القمر لأنه
مذكر ، والمذكر أخف من المؤنث . كما أن المفرد أخف من المضاف ،
ولهذا غلبوا عمر على أبى بكر لأن عمر غير مضاف وأبو بكر اسم مضاف
لأنك أضفت أبا إلى بكر وقوله استوليا : يعنى غلبا وملكا ، ويجوز أن يكون
استوليا تبعا ولزوما من قولهم ولى فلان عمله إذا تبعه ولزمه ، وأتى على بناء
استفعل . أذنيه : قرباه . البلى : الإخلاق يقال ثوب بال وخلق ودارس ،
والبلال يمد ويقصر ، فإذا كسرت أوله قصرته كما قال الشاعر :

ألا يا ديار الحى بالسبعان أمل عليها بالبللى الملوان
وإذا فتحت أوله مددته كما قال الآخر :

والمرء يبله بلا السربال مر اللىالى وانتقال الحال

مَا كُنْتُ أَذْرِي وَالزَّمَانُ مُوَلِّعٌ بِشْتٍ مَلْمُومٍ وَتَنْكِيثٍ قُوًى ^(١)
أَنَّ الْقَضَاءَ قَازِفِي فِي هُوَّةٍ لَا تَسْتَبِيلُ نَفْسُ مَنْ فِيهَا هَوًى ^(٢)

(١) قوله : ما كنت أدرى : أى ما كنت أعلم ثم حال بين أدرى ، وما علمت فيه بحشو هذا البيت وجاء بالمعمول فيه فى البيت الذى بعده ، وهو أن ، وأن اذا وقعت فى باب الظن كفت عن المفعولين تقول : ما ظننت زيدا عاقلا وما ظننت أن زيدا عاقل ، فزيدا فى المسألة الاولى مفعول أول لظن وعاقلا مفعول ثان . وفى المسألة الثانية كفت أن عن المفعولين . وعاقل خبر أن وقوله . والزمان مولع : أى ملازم ومغرى به يقال أولعت بكذا إذا لزمته ، الشت : التفريق . الملموم : المجموع من قولهم له يلبه إذا جمعه التنكيث : النقص مأخوذ من قولهم نكث العهد إذا نقضه . القوى : جمع قوة وهى إحدى قوى العهد أى طاقاته ومن هذا أخذت القوة :

[المعنى] إن مرور الليل والنهار على أى مخلوق جديد يسلماه إلى الهلاك والبل ، يقصد أن توالى الليل والنهار وتعاقب الحدثن على بنى الانسان من أكبر عوامل الهدم ، فما ظنك بعبء التفكير فى محبوب نأى ، ووصل بعد ؟ ثم قال ما كنت أظن أن يلقى بى القضاء إلى ما ترى ، والدهر مولع أى شغوف بتفريق المجموع ، وتحطيم القوى ، شأنه فى كل العوالم والمواليد حيوان ونبات وجماد ، لان أو ييس ، تفرق أم اجتمع .

(٢) قوله : قاذفى : أى رامى ، والقاذف : الرامى يقال يقذفه فى بئر إذا رماه فيها . الهوة : الحفرة يتسع أسفلها ويضيق أعلاها وقوله : لا تستبيل : أى لا تبرأ ولا تفيق يقال بل من مرضه وأبل واستبيل إذا برى . هوى : سقط من فوق إلى أسفل يقال : هوى يهوى هوىاً قال الشاعر :

فشج بها الأما عز فهى تهوى هوى الدلو أسلمها الرشاء

فَإِنْ عَثَرْتُ بَعْدَهَا إِنْ وَأَلْتُ نَفْسِي مِنْ هَاتَا فَقُولَا لَا لَمَّا^(١)
وَإِنْ تَكُنْ مُدَّتْهَا مَوْصُولَةً بِالْحَتْفِ سَلَّطْتُ الْأَسَى عَلَى الْأَسَى^(٢)

(١) قوله : فإن عثرت بعدها : أى زلت والعرث : الزلل . يقول : إن زلت بعد هذه النكبة فلا سلت ، ومعنى وألت : نجت وخلصت . يقال : وأل فلان من كذا يئثل وألا إذا خلص منه ونجا ، والموتل مفعول وهو الملجأ ، يقال هذا موتل فلان أى ملجؤه ومفرغه الذى يفرع إليه أى يلجأ إليه قال الله جل ذكره : (بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً) أى ملجأ ومفرغاً ، وأما آل فلان إلى كذا بالمدة فعناه رجع . يقال آل الأمر إلى كذا يؤول أولاً مثل قال يقول قولاً وقوله . هاتا : إشارة إلى مؤنث بمنزلة هذا للمذكر لأنه عائد على العثرة المضمرة التى دل عليها قوله : وإن عثرت ، وتقديره إن عثرت عثرة بعدها ثم وألت نفسى من هذه العثرة ، وإن شئت كان الضمير عائداً على الهوة فى البيت الذى قبل هذا . والهوة : الحفرة وجمعها هوى ، هاتا : بمعنى هذه تقول العرب هاتا فعلت كذا ، وللمذكر هذا فعل كذا ، وقوله لا لَمَّا : أى لا نجا ولا خلاص . ولعادعاء للعائر بالسلامة إذا جئت به دون لا . فإن أتيت معه بلا فعناه لا سلامة .

[المعنى] ما كنت أدري أن قضاء الله نفذ على بتعلقى بمالم أنل منها بغيتى ، رمى بى فى حفرة وهوة عميقة لا تبرأ نفس من سقط فيها ، هذا لأن تعشق الدلاء ، نأى مكانها ، وشطوليها ، هوة القلب السحيقة ، فإن عثرت فيها بعدهذه النكبة الدهماء ، والمصيدة الصماء ، فلارجاء فى السلامة ، ولا أمل فى النجاة .
(٢) قوله : وإن تكن مدتها : الهاء فى مدتها عائدة على النكبة . الحتف : الموت وجمعه حتوف . الأسى : يضم الهمزة جمع أسوة أى تعزية . قال الشاعر :
ولقد علمت وإن ضربت لى الأسى أن الرزية يوم قتل دؤاد
أى التعدى . والأسى يفتح الهمزة أى الحزن .

إِنْ أَمْرًا الْقَيْسِ جَرَى إِلَى مَدَى فَأَعْتَقَهُ حِمَامُهُ دُونَ الْمِدَا^(١)

(١) قوله : إن امرأ القيس جرى إلى مدى : أى إلى غاية وقوله : فاعتقه حمامه : أى منعه يقال : اعتاقه وعاقه بمعنى واحد . الحمام بالكسر : الموت ما خوذ من قولهم حم الأمر أى قرب .

وكان من حديث امرئ القيس أن أباه طرده لما قال الشعر ، فكان ينتقل في أحياء العرب ويستتبع الصعاليك منهم فكان يغير بهم ، وكان أبوه ملك بنى أسد ففسفهم عسفا شديدا فتماثروا على قتله فقتلوه . فلما بلغ امرأ القيس الخبر وهو يشرب قال : ضيغنى صغيراً وحملنى ثقل النار كبيراً . اليوم خمر ، وغداً أمر ، فأرسل مثلاً . ثم جمع جمعاً من بكر بن وائل وغيرهم من صعاليك العرب ، فخرج بهم يريد بنى أسد فخيرهم كاهنهم بخروجه إليهم فارتحلوا وبينهم امرؤ القيس فوقع بنى كنانة فقتلهم قتلاً ذريعاً ، وأقبل أصحابه يقولون : يا ثارات الهمام يا ثارات الهمام ، فقالت عجوز منهم : واللوات أيها الملك مانحن بشارك ، وإنما نأرك بنو أسد وقد ارتحلوا فرفع عنهم القتل وأنشأ يقول :

ألا يالهف قلبى من أناس هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدهم بنى على وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب

قوله : بنى على : يريد بنى كنانة . نسبوا إلى على بن مسعود الغساني وكان تزوج أمهم بعد أبيهم وربوا في حجره فنسبوا إليه . ثم إن أصحاب امرئ القيس اختلفوا وقالوا : وقعت بقوم براء وقتلتهم فخرج إلى اليمن إلى بعض مقاويل حمير ، وكان اسمه قرمل فاستجاشه فقبضه قرمل . فذلك حيث يقول :

وكنا أناسا قبل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا
ثم توجه إلى قيصر ملك الروم ، وجعل طريقه على تيماء - حصن للسموأل

ابن عاديا - فأودعه درعا وسلاحا ، وكان قد مشى معه صاحب يقال له عمرو بن قتيبة . فلما رأى عمرو بن قتيبة الدرب - وهو حاجز بين بلاد العرب وبين بلاد العجم - بكى جزعا لفراقه بلاد العرب ودخول بلاد العجم ففى ذلك قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فتعذرا
ثم سار حتى وصل إلى قيصر في ملكه . فاستأذن عليه فأذن له . فلما دخل عليه قرب مجلسه وأذن مكانه ، واتخذته نديما ، وجعله ، وخلع عليه ، وأحسن إليه ، ثم استعان به فوعده أن يرفده بجيش ، وكان امرؤ القيس جميل الوجه ، وكان لقيصر ابنة حسنة جميلة فأشرفت يوما من قصر لها فرآها امرؤ القيس في دخوله إلى أبيها فتعلق بقلبه حبها وراسلها فأرسلت إليه فسار إليها فطرقها ليلا فذلك حيث يقول :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي
وكان سبقه إلى قيصر رجل من أعدائه من بنى أسد يقال له الصحصاح فوشى به إلى قيصر فتقدم أن يقتله ، فوجه معه جيشا ثم أتبعه رجلا ومعه حلة مسمومة ، وقال له اقرأ عليه السلام ، وقل له إن الملك قد بعث إليك بحلة قد لبسها ليكرمك بها ، وأدخله الحمام فاذا خرج ألبسه إياها ، فلما لبسها نفط بدنه ، فكان يحمل في محفة . فذلك حيث يقول :

لقد طمخ الطماح من بعد أرضه ليلبسنى من دائه ما تلبسا
وبدلت قرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبوسا
ثم نزل إلى جانب جبل وإلى جانبه قبر لبعض بنات ملوك الروم وكان اسم ذلك الجبل عسييا . فأنشأ يقول :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإلى مقسم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكل غريب للغريب نسيب
فإن تصليني فالمودة بيننا وإن تبعديني فالمزار عصيب
أجارتنا ما فات ليس يؤوب وما هو آت في الزمان قريب
وليس غريبا من تناءت دياره ولكن من وارى التراب غريب
فلما أيقن بالموت قال :

كم طعنة مشعجره وخطبة مسحفرة
وجفنة مدعثره متروكة بأنقرة

قوله مشعجرة : منتصبه . مسحفرة : ماضية . مدعثره : مكسرة ، أنقرة : موضع . يرثى بهذا نفسه . يقول : كم من خصلة جليلة تجمعت قد تركت في هذا الموضع إذ دفن فيه . فتضمنها قبره ، وأسلبه أحبته ثم مات فهناك قبره . [المعنى] وإن طاللت مدة هذه النكبة ، وأمد هاتيك المصيبة إلى الموت وانقضاء الحياة فلن أزال أعالجها ما استطعت إذا قدرت بالتصبر والتسلى والتعزى حتى تتغلب رماح المجالدة فتؤخر تقدم جيوش الحزن والأسى - وإنما يهلك أسمى وحزنا من لم يتدرع بأسوة تمحو آثاره ، أو على الأقل تقلل غباره - على ضد قول أخى مالك ابن نويرة يرثيه :

يقولون تبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوا فالدكادك

فقلت لهم إن الأسى تبعث الأسى دعونى فهذا كله قبر مالك

وإن امرؤ القيس قبل قد امتدت به نكبته حتى الوفاة ، دون أن يحقق غايته ، ويقضى وطره الذى طالما صبا إليه ، وجد من أجل تحقيقه كل الجد ، فأخشى أن أنتهى إلى ما أنتهى ، ويعوقنى دون الوصول إلى غايى ما عاقه فأنشده من الآن : أضاعونى وأى فنى أضاعوا ۱۱۱

وَحَامَرَتْ نَفْسُ أَبِي الْجَبْرِ الْجَوَى حَتَّى حَوَاهُ الْحَتْفُ فِيمَنْ قَدْ حَوَى^(١)

(١) خامرت : خالطت، ومنه سميت الخمرة لمخالطتها العقل وتغطيتها عليه
الجوى : مقصور مفتوح داء في الجوف ، وقيل الجوى : تأثير الحزن في
الجوف . يقال من ذلك جوى يحوى جوى ، والجواء مكسور وممدود :
اسم أرض . قال الشاعر :

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالجساء
ويقال الجواء هنا : جمع جو وهو البطن من الأرض وقوله : حواه :
أى حازه . الحتف : الموت وجمعه حتوف .

وكان من حديث أبي الجبر وهو رجل من كندة ، وكان اسمه وكنيته
واحدا ، وكان من الملوك . أنه خرج إلى كسرى يستجيشه على قومه فأعطاه
جيشا من الأساورة . فلما صاروا بكاطمة نظروا إلى وحشة بلاد العرب
فقالوا أين نذهب مع هذا فسموه ، فلما اشتد وجهه قالوا له قد بلغت إلى هذه
الحال فاكتب إلى الملك أنك قد أذنت لنا ، فلما كتب لهم ورجعوا خف
ما به ، فرحل إلى الطائف إلى الحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب ، فداواه
فبرى ، وارتحل يريد اليمن فانتقضت علته ، فمات في الطريق . فقالت عمته
كبشة ترثيه :

ليت شعري وقد شعرت أبا الجبر بما قد لقيت في الترحال
أتمطت بك الركاب أبيت اللعن حتى حلت في الأقتال
أشجاع فأنت أشجع من ليث هموس السرى أبى الأشبال
أجواد فأنت أجود من سيل تداعى من مسيل هطال
أكرم فأنت أكرم من ضمت حصان ومن مشى في النعال
أنت خير من عامر وابن وقاص ومن جمعوا ليوم المحال
أنت خير من ألف الف من القوم إذا ما كفهرت وجوه الرجال
[المعنى] أن أبا الجبر أودت به علته بالسم عند ما خامرت باطنه ،

وَأَبْنُ الْأَشْجِ الْقَيْلُ سَاقَ نَفْسَهُ إِلَى الرَّدَى حِذَارَ إِشْمَاتِ الْعِدَى^(١)

وقد حاول علاجها بشتى الوسائل، فكل شئ يهون من ألم الجراح الظاهرية، أما ألم الجراح الباطنية فنذير البؤس ومبعث الردى والدمار، وقد ألمات أبا الجبر ما ألمات من اعتل بالجوف قبله، وإن علتى مكانها قلبى، ومأواها فؤادى، وهى أنكى وأشد من علة أبى الجبر، فإن كان أبو الجبر وجد منها برءاً وعلاجاً يبعده عن الردى الذى حواه فانى واجده، والخلاصة إعلانه بأسه من برء دانه.

(١) العدى : والعدى، والعداء، والأعداء واحد، والعدى أيضاً مكسور

مقصود الغرباء، ويكتب بالياء قال الشاعر :

إذا كنت فى قوم عدى لست منهم فكل ما علفت من خبيث وطيب
وأما العداء بالكسر والمد : فالموالاة بين الشيتين، وهى المتابعة.
قال الشاعر :

فعادى عداء بين نور ونعجة دراكا ولم يتضح بماء فيغسل
والقيل : الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال وأقوال، وقوله : ساق
نفسه إلى الردى : أى إلى الهلاك يقال من ذلك ردى ردى ردى إذا هلك
قال الله تعالى : (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) .

وكان من حديث أبى الأشج، واسمه عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس
الكندى : أن الحجاج ولأه سجستان نخل الحجاج دون عبد الملك بن مروان
واتبعه أهل العراق قراؤهم وعلناؤهم، منهم الشعبي واسمه عامر بن سراحيل
ومنهم سعيد بن يسار أخيراً الحسن بن أبى الحسن البصرى، ومن أشبههم فغلب
على البصرة والكوفة، وقاتل الحجاج مدة طويلة ثم انهزم ورجع إلى ريتقل
سلطان الترك . فبذل له الحجاج مالا كثيراً فغدر به ريتقل، وأسلمه إلى
رسل الحجاج، فلما صاروا بالرى باتوا على سطح حصن مرتفع فكان يؤمر
(٣ - ابن دريد)

وَأَخْتَرَمَ الْوَضَّاحَ مِنْ دُونِ آلِي أَمْلَهَا سَيْفُ الْحِمَامِ الْمُتَضَيِّ (١)

وهو أسير ، وكان قد قُرن إلى رجل من بني تميم بسلسلة في أيديهما فلما كان بعض الليالي قال للتميمي : قم معي لأبول . فلما قام معه أشرف من السطح إلى الأرض وجمع ثيابه فقال له التميمي : ما تصنع أيها الأمير ؟ قال الساعة أعلبك . ثم رمى بنفسه فوق هو والتميمي فماتا جميعا ، وحمل رأسه إلى الحجاج . فهذا معنى قوله : ساق نفسه إلى الردى حذار لإثمات العدى .

[المعنى] أن الأمير عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس الكندى الشهير بابن الأشج فضل الموت على الحياة المصاحبة لشماتة الأعداء حين وقع أسيرا بغدر ريتقل سلطان الترك به وكان قد لجأ إليه يستغيث به فظير مال بذله الحجاج إليه . والترك كأهل العراق أهل نفاق ومعدن اللؤم وأس الخيانة . يقصد ما فائدة حياة يلازمها الألم المبرح ثم يعقبه شماتة الأعداء عند عضال الداء ؟! على حد قول عنترة العبسي :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم في العز أطيب منزل
وقول الآخر :

لا تسقني ماء الملام فإني صب قد استعذبت ماء بكائي
وقول الشارح : العدى والعدى والعداء والأعداء واحد الخ الأول بكسر العين جمع عدو ، والثاني بضم العين اسم جمع لعدو ، والثالث بضم العين جمع المعادى بمعنى المخاصم وقوله وأما العداء بالكسر وبالمد فالموالاة بين الشيتين الخ فيقال عليه وبمعنى المعاداة أيضا يقال : عاداه يعاديه عداة ومعاداة خاصمه وصار له عدوا ، والأعداء جمع عدو ، وجمع الجمع أعاد . اه من المنجد .
(١) واخترم : أهلك واقتطع . يقال خرمت الشيء إذا قطعته ، والخرم : النقص ، ومنه الخرم في الشعر وهو نقصان حرف من أول البيت إذا كان أوله مبنيا على جزء ابتدأه وقد . الحرام : الموت المتضئ : السلول من قولهم :

انتضيت السيف أنتضيه انتضاء إذا أخرجه من غمده ، واسم الفاعل منتض ،
ويقال سيف منتضى أى مجرد .

وكان من حديث الواضح واسمه جذيمة بن مالك بن فهم الأزدي الملك
أنه كان أبرص . نهابت العرب أن تقول أبرص ، فقالت الأبرش والواضح ،
وكان في أيام ملوك الطوائف قد ملك شطى الفرات إلى صراة جاماس ، وإلى
الأنبار ، وما وراء جاماس ، وما وراء ذلك إلى السواد ستين سنة ، وكان من
العماليق ، ويقال من سلج ، وكان قد قتل أبا الزباء وغلب على ملكها ، وألجأ
الزباء إلى أطراف مملكته وكان يغير على ملوك الطوائف حتى غلبهم على
كثير مما في أيديهم ، وكانت الزباء ملكة أدبية عاقلة فبعثت إليه تخطبه على
نفسها ليتصل ملكها بملكه . فدعته نفسه إلى ذلك فشاور وزراءه في ذلك
فكلهم أشاروا عليه أن يفعل إلا قصير بن سعد فانه قال : أيها الملك لا تفعل
فان هذا خديعة ومكر . فعصاه وأجابها إلى ذلك ، فقال قصير عند ذلك : -
لا يقبل لقصير رأى - فأخرجها مثلاً . ثم كتبت إليه بعد ذلك أن سر
إلى ، فجمع أصحابه بيقة وهي قرية على الفرات ، وشاور وزراءه فأشاروا عليه
بالخروج إلا قصيراً فقال له : أيها الملك أما إذا ما عصيتي فرأيت جندما
قد أقبلوا إليك فترجلوا وحيوك ثم ركبوا وتقدموا فقد كذب ظنى ، وإن
رأيتهم إذا حيوك طافوا بك فاني معرض إليك العصا ، وهي فرس لجذيمة
لا تدرك فاركب وانج بنفسك . فلما أقبل أصحابها حيوه وطافوا به فقرب
إليه قصير العصا فشغل عنها فركبها قصير وأخذ جذيمة فنظر إلى قصير على
العصا ، وقد حال السراب دونه . فقال : - ما ضل من تجرى به العصا -
فأخرجها مثلاً وأدخل جذيمة على الزباء وكانت وفرت شعراتها حولاً .
فلما دخل انكشفت له ، وقالت : أذات عرس ترى يا جذيمة ؟ أما إنه ليس

... ..

من عوز المواسي ، ولا قلة الأواسي ؟ ولكنها شيمة من أناسي وأمرت به
فأجلس على نطع وجيء بطست من ذهب فقطعت راهشيه ، وفي ذلك
قال الشاعر :

وقدمت الأديم لراهشيه وألني قوله كذبا ومينا
وكان قد قيل لها احتفظي بدمه . فانه إذا أصابت الأرض منه قطرة أخذ
بثأره . فقطرت من دمه قطرة على الأرض فقالت : لا تضعوا دم الملك .
فقال جذيمة : — دعوا دما ضيعه أهله — فأرسلها مثلا ومات .
[المعنى] أن جذيمة الأبرص الشهير بالابرش أو الوضح الملك الأزدي —
وقد بلغ في عزة ملكه ما بلغ وغلب على ملوك الطوائف — أهلكه سيف
الموت المسلول حين أتبع نفسه هواه ، وتعلق بحب الزباء الملكة الحسنة
وخلبه منها سراب وعداها المزيف بزواجها منه ، وغلبه حب الوصل ، على
حيلة العقل ، فجرفه سيل الودي قبل بلوغه ما كان يأمل ، ولو عمل بقول
عمر بن أبي ربيعة المحزومى حين يقول في وعد النساء :

وليس لمخضوب البنان يمين . واتخذ عقله قائدا ، وحسن تفكيره رائدا ، ولم
يهمل مشورة أميته قصير — وهو بحوادث الحدثن خير وبصير — : لنجا
من التمثيل به وإهراق دمه ، أمام ناظره . يقصد أن يقول : إن الملوك الرفيعة
الجانب ، السامية المقدار ، القوية البأس ، الشديدة في البطش ، قد وقعوا في
أسر الهوى دون فكك أو خلاص ، وندموا حين أفرطوا ولات حين مناص ،
فياليت شعري هل أنا راكب متن غوايتهم سائر في شططهم ؟ أم أكون
بتمهلي بمنأى عن نهايتهم أفلا أقول ما قاله الملك المفرط : دعوا دما ضيعه أهله

فَقَدَ سَمًا قَبْلِي يَزِيدُ طَالِبًا شَأَوُ الْعَلَا فَمَا وَهَى وَلَا وَنَى ^(١)
فَاعْتَرَضَتْ دُونَ الَّذِي رَامَ وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْجُدُّ اللَّهُمَّ الْأَرَبَى ^(٢)

(١) سما : علا الشأو : الغاية ، وقيل الشأو : البعد ، والشأو : طلق الفرس يقال جرى الفرس شأوا أو شأوين . العلا : الشرف . ما وهى : أى ماضعف ، وقيل وهى : انصدع . يقال وهى وهى وهيا ، وأصل الوهى الشق ، قال الله عز وجل : (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ولا ونى : أى ولا فتر . قال الله عز وجل : (ولا تنيا فى ذكرى) أى ولا تفترأ ، وتصريفه ونى بنى ونيا ، واسم الفاعل وان .

وكان من حديث يزيد بن المهلب بن أبى صفرة أنه خرج على بنى أمية وخطب له بالبصرة وسلمت عليه جارية من جواريه بالخلافة ، والعباس ابن الوليد بن عبد الملك بإزائه فقال لها :

رويدك حتى تنظرى عم تنجلي غيابة هذا العارض المتألق
فدست إليه بنو أمية رجلا من كلب يقال له الفحل وابن الفحل وكان
ذا بأس شديد وإقدام فقتله فى بعض خلواته . فقال الشاعر من كلب
فى ذلك :

قتلنا يزيد بن المهلب بعدما تمنيتم أن يغلب الحق باطله
وما كان فى أهل العراق منافق عن الدين إلا من قضاة قاتله
ثم صفا الأمر لبنى أمية .

(٢) فاعترضت : أى بدت ، وقيل معناه عارضت وفيه تقديم وتأخير .
أى فاعترضت اللهم الأربى دون الذى رام . ومعنى رام : طلب . جد : حث
وأسرع . جد : اجتهد . وجد أيضا فى غير هذا الموضع : قطع . واللهم
والأربى : اسمان من أسماء الداهية وأصل الداهية الشدة وقوله : الجدد : هو
العزم . والجدد أيضا : الحق .

هَلْ أَنَا بِدْعٌ مِنْ عَرَانِينَ عَلَا جَارَ عَلِيهِمْ صَرْفُ دَهْرٍ وَأَعْتَدِي^(١)
فَإِنْ أَنَا لَتَنِي الْمَقَادِيرُ الَّذِي أَكِيدُهُ لَمْ آلَ فِي رَأْبِ الثَّأْيِ^(٢)

[المعنى] ما أنا طالب شيئا حقيرا ، ولا مطارد صغيرا ، وإنما أعترم
أمرا خطيرا وشرقا كبيرا ، فلا ينبغي لى أن أقصر عن إدراك غايته ، أو أن
أضعف قبل أن أصل إلى نهايته :

وما نيل السعادة بالتنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء
تجثك بملها طورا وطورا تجثك بحمأة وقليل ماء

ولاسيما وأن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة الأمير قد سما قبلى حين طلب
العلا والشرف مثلى ، وبلغ فى المجد حدا لا يضاهى بما أقدم عليه من عزم
أكيد ، وعمل مجيد ، وسعى متواصل ، فاعراه قبل بلوغه الغاية ضعف ،
ولا أقعده فتور ، وأرى لى همة تقول : بالسابق فى الفضل اقتد . نعم عارضت
يزيد الهام الشدة الدهماء ، والكارثة العمياء ، المسبأة باللهم وبالآربى دون الذى
رام وقصد ، فقطعت جبال وصاله ، وحالت دون تحقيق آماله ، بعد أن جد
جده ، وتقدم سيره ، ولكن ليس العيب عيبه . وإنما العيب كل العيب على من غدر به .
(١) البدع : الذى يكون أولا فى كل أمر ، قال الله عز وجل : (قل ما كنت
بدعا من الرسل) أى لست بأول مرسل ، والعرايين : الأشراف ، واحدهم عرين .
والعرنين : الأنف ، وإنما سمى الشريف عرينا لأنه كالعرنين فى الوجه وهو
أرفع ما يكون ، جار : عدل عن الحق أى مال عنه . اعتدى : ظلم .

(٢) فإن أنا لتنى : أعطتنى المقادير ، جمع مقدار ، وهو القدر ، أكيد :
أطلبه ، وأحتال عليه . لم آل : لم أقصر . رأب : إصلاح ، من قولهم رأبت
الشيء . أراهه رأبا . الثأى : الفساد ، ومعناه لم أقصر فى إصلاح الفساد .

[المعنى] لست بدعا فى الأشراف راموا العلا فرموا بالنكبات ، وقصدوا

الشرف فنحوا عن الغايات :

وَقَدْ سَمَا عَمَرُو إِلَى أَوْتَارِهِ فَأَخْتَطَّ مِنْهَا كُلُّ عَالِي الْمُسْتَمَى ^(١)
فَاسْتَنْزَلَ الزَّبَاءَ قَسْرًا وَهِيَ مِنْ عُقَابِ لُوحِ الْجَوِّ أَعْلَى مُسْتَمَى ^(٢)

وفي الرياض نبات فاق رونقه وليس يرجم إلا ما له ثمر
وفي السماء نجوم لا عداد لها وليس يخسف إلا الشمس والقمر
وما حارب الدهر إلا الأكابر فلي بهم خير أسوة في تحمل عاديته ،
وشن غاراته ، فان أنالتي المقادير ما أتمناه لم أدر جهدا في إصلاح ما عبثت
به يد الزمان ، وأفسده الحدثنان . وقوله الثأى : الفساد ، لا يتفق مع ضبطه
بضم الثاء وفتح الهمزة وإنما هو معنى الثأى بفتحها وسكون الهمزة التي هي
عين المصدر . أما الثأى بضم الثاء مع فتح الهمزة : فأثار الجرح . وعبرة
المنجذ في المادتين : ثأى يثأى ثأيا وثأى : الشئ خرمه ، فقه ، أضعفه وأفسده .
وثأى في القوم : جرح فيهم وقتل ثئى ، الشئ يثأى ثأى : خرم . الثأى :
آثار الجرح . الثأى : مصدر . ويقال فلان يرأب الثأى ، أى يصلح الفساد . اهـ
(١) سما : علا . الأوتار : جمع وتر ، وهو طلب الدم قوله : فاحتط
منها أى فأنزل . المستمى : المكان العالى المرتفع ، وهو مفتعل من سما إذا
ارتفع ، وزيدت الثاء فيه لبناء افتعل كما زيدت في استجاب .

(٢) الزباء : اسم امرأة . القسر بالسين : القهر والغلبة . والعقاب : طائر
معلوم وهو من سباع الطير ، وجمعه عقبان . اللوح : الهواء الذى بين السماء
والأرض ، واللوح أيضا : العطش بضم اللام فيهما ، الجوا أيضا : ما بين السماء
والأرض . متسمى : أى موضع مرتفع إليه ، وهو مفتعل لأنه اسم مفعول
من نمت الشئ إذا رفعته ، واسم الفاعل متم ، وفي هذا البيت تقديم وتأخير
تقديره فاستنزل الزباء قسرا وهى أعلى متسمى من عقاب لوح الجو أى فى
منعتها أكثر امتناعا من العقاب الذى فى الجو .

وكان من حديث عمرو ، وقصير ، والزباء وهو عمرو بن ربيعة بن نصر ، وكان ابن أخت جذيمة الأبرش - أن الزباء لما قتلت جذيمة ونجا قصير بن سعد القضاء على العصا سار إلى عمرو وقال : ألا تطلب بثأر خالك ؟ قال : وكيف أقدر على الزباء وهي أمتع من عقاب الجوا ؟ فأرسلها مثلاً . فقال له قصير : اجدع أني وأذني واضرب ظهري حتى تؤثر فيه ودعني وإياها فألحق بها وأقول قد فعل بي عمرو ما ترين من أجل أنه اتهمني في أمر خاله ، ففعل به ذلك . فلما سار إليها وأخبرها بذلك وقال لها : قد لقيت هذا من أجلك . فقالت وكيف كان ذلك ؟ قال زعم ألى أشرت على خاله بالخروج إليك حتى فعلت به ما فعلت . فوعده من نفسها بالإحسان فأحسن خدمتها وأظهر النصيحة لها حتى حسنت منزلته عندها ، وزين لها التجارة والأسفار فبعثت معه مالا وإبلا إلى العراق فسار قصير إلى عمرو مستخفياً فأخذ منه مالا وزاد على ما لها فاشتري طرفا من طرف أهل العراق ورجع إليها فأراها تلك الأرباح فسرت . ثم كركرة فأضعف لها المال حتى عجزت من فعله وازدادت به غبطة وسروراً . فلما كان في المرة الثالثة اتخذ جوارق الجص من المسوح وجعل ربطها من أسافلها إلى داخل ، وأدخل في كل جوارق رجلا بسلاحه ، وأقبل إليها وأخذ غير الطريق فكان يسير الليل ويكن النهار ، وأخذ عمرأ معه ، وكانت الزباء قد صور لها عمرو قائما وقاعدا وراكبا ، وكانت قد اتخذت نفقا أجرت عليه الماء من قصرها إلى قصر أختها زبيدة ، وكان قد بعد عنها خبر قصير ، فسألت عنه فقيل لها أخذ الغوير وهو موضع ، فقالت : عسى الغوير أبوسا ، فأرسلتها مثلاً ، ودخل قصير على الزباء وقد تقدم العير فقال لها قني فانظري إلى العير ففرقت في قسطح لها فجعلت تنظر إلى العير مقبلة ثم رجعت الرجال تمشي قليلا قليلا . وأسكرت ذلك المشي وقالت :

ما للجبال مشيها وئيداً أجندلا يحملن أم حديدا
 أم صرفانا بارداً شديداً أم الرجال جثا قعودا
 فانتهوا إلى حصنها ، وقد أظلم الليل وشغلت بشيء ولم ترتب حاجبا على
 الباب ، وكان عمرو قد وصف له قصير باب النفق ، ووصف له الزباء ، فلما دخلت
 الغير المدينة ، وعلى الباب البوابون من النبط ، ومنهم واحد في يده مخضرة ،
 وهو سفود ، قطع جوالق منها بالْمُخْضَرَة فأصاب رجلًا فضرط ، فصاح ، البواب
 بالنبطية : بشتا بشتا ، وتفسيره بالعربية الشر الشر ، فانتضى قصير سيفه فضرب
 به البواب فقتله ، وجاء عمرو على فرسه فدخل الحصن عقب الإبل ، وابتكرت
 الإبل ، وحلت الرجال الجوالقات ، ومشوا في المدينة بالسلاح . فسار قصير
 ومن معه حتى دخلوا قصر الزباء ، وكانت تتعرف عمرًا على كل حال من
 أحواله . تريد بذلك أن تعرفه لتكون كلما نظرت إليه أخذت حذرًا منه .
 فلما رأت الزباء عمرًا ولت هاربة تريد النفق لكي تنجو فيه فلحقها عمرو
 فلما علمت أنها لا تغلته مصت خاتما كان في يدها مسموما وقالت : يدي
 لا بيدك يا عمرو . فمات مكانها ، وقيل إن عمرًا جلدًا بالسيف واستباح
 بلادها ، واستولى ملكها .

[المعنى] أن طالب العلو بالجد يعلو ، وإن عمرو بن ربيعة ابن أخت
 جذيمة الأبرش لما كان على الهمة ، صادق العزيمة ، قوى الشكيمة ، سما إلى
 اقتناص رقاب الملوك فقتل الزباء أخذًا بثأر خاله المقتول بأمرها وتدير
 خديعتها ، ولم يسترح له بال ولم يطمئن له بلبال ، حتى سقاها كأس حمامها
 بيديها ، وأذلها وهي أمتع من عقاب حلق في جو السماء ، ورد كيدها في
 محرها ، وإنه لى خير مثال يحتذى في السعى إلى الغاية ، لا في المكيدة فطلوبه
 خصمه ، ومطلوبى حبيى ، ومالك فؤادى .

وَسَيْفٌ أَسْتَعَلْتُ بِهِ هِمَّتُهُ حَتَّى رَمَى أَبْعَدَ شَأْوِ الرُّمْتَى ^(١)
فَجَرَّعَ الْأَحْبُوشَ مُنَّمَا نَاقِمًا وَأَحْتَلَّ مِنْ غَمْدَانِ مَحْرَابِ الدُّمَى ^(٢)

(١) قوله . وسيف استعلت به همته : يعنى سيف بن ذى يزن ملك اليمن وله قصة عجيبة أنا ذا كرها إن شاء الله تعالى وقوله . استعلت : أى علت وارتفعت يقال : علا واستعلى بمعنى واحد . الشأو : الغاية ، وشأو كل شئ : غايته ، وشأو الفرس طلقه قال الشاعر فى ثنئته :

إذا ما جرى شأوين وابتل عطفه تقول هزير الريح مرت بأناي
المرتمى : موضع الرمي ، وهو الذى يقال له الغرض ، ويقال له أيضاً الهدف ، ويقال له أيضاً القرطاس .

(٢) قوله . جرع : أى سقى ، والجرعة القليل من الماء ، ومنه قول الله عز وجل : (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يقطع شربه ، والأحبوش ملك الحبشة ، ويقال للجماعة أيضاً أحبوش وحبشة ، وقد تحبشوا إذا اجتمعوا . ناقما : ثابنا يقال تقع نقوعا إذا ثبت . احتل : نزل بالمكان ، ومنه سمي المكان الذى ينزل فيه محلا . غمدان موضع بصنعاء اليمن ، وكان فيه بناء عظيم ، وصور من الرخام هدمه عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الاسلام ، ويقال إن رسومه باقية إلى الآن . والمحراب ها هنا : غرفة بصنعاء فيه صور قديمة حسنة . أنشد الأصمعى للعرب :

رب محراب إذا جئها لم أدن حتى أرتقى سلما
وقيل المحراب : المجلس فى البيت ، وهو أكرم موضع فيه ، ومن هذا سمي محراب المسجد لأنه أرفع موضع فيه . الدمى : الصور . واحدا دمية قال الشاعر :

أو دمية من مرمر غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

و يقال للنساء أيضا دعى تشبها بهن ، وصنعاء باليمن من البلدان التي لا يدري
من بناها ، وتدمر بالشام .

وكان من قصة سيف بن ذي يزن أن الحبشة لما غلبوا على اليمن وطال
مكثهم . خرج سيف وهو من أهل بيت المملكة إلى الروم يستنصر قيصر ،
فشاور وزراءه فقالوا له : أيها الملك ، إن الحبشة في دينك ، ودين هذا العربي
مخالف دينك فاطله ، وكره قيصر أن يخفّره بعد ما وعده . فلما طال ذلك
عليه خرج إلى الخيرة بعد سبع سنين من مقامه بأرض الروم فسار إلى بعض
ملوك فارس يستنصره — أحسبه — هرمز بن قباذ . فلما دخل بلاده أكرمه
وبالغ في كرامته ، ورفع مجلسه وأدناه . فقال له ترجمانه ما تبتغى من الملك
فقد أمرني أن أسألك عما قصدت إليه ؟ فقال له : أيها الملك غلبتنا على بلادنا
الآغربة . فقال له الترجمان : يقول لك الملك أي الآغربة الهند أم الحبشة ؟
فقال : بل الحبشة ، وجئت إلى الملك لينصرني عليهم فنسكون في دينه ، فانه
أحب إلى أن يملكني وقومي من أن تملكني الآغربة . فقال له الترجمان :
الملك يقول لك هيات هيات . بعدت عنا أرضك ، وهى مع ذلك أرض
قليلة الخير ، وإنما بها الشاء والبعر ، وهذا لا حاجة لنا فيه . وأمر له بعشرة
آلاف درهم فقبضها . فلما خرج من عنده وهبها على باب الملك ، فاتصل ذلك
بالملك . فوجد عليه وأمر برده إليه ، فقال له الترجمان : الملك وجد عليك .
فقال : ولم ذلك ؟ فقال عمدت إلى حياء الملك وكرامته فأهبطته العبيد والإماء .
فقال : وما أصنع بالمال ؟ وهل جباؤه إلا ذهب أو فضة ، وإنما كانت إرادته
أن يرغب الملك في بلاده ، فلما سمعه الملك أمره بالمقام ووعدته بكل ما يحبه ،
وأنه يوجه معه جيشا ، ثم إن الملك شاور وزراه في ذلك فقالوا له : أيها الملك .

أما الرأي عندنا فإن لا توجه جنداً من جند فارس في مفاوز العرب . حيث ليس ماء ولا كلاً ، وإنما يشرب فيها الماء من مثل عيون الديكة . فان غورت عليهم ماتوا عطشا . فقال : ما كنت لأخفقه بعد أن وعدته ، ولا بد أن أبلغه أمله وأرعى قصده إلى . فقالوا : إن كان الأمر هكذا فان هنا رأيا . قال : وما هو ؟ قالوا : تبعث إلى سجونك فان فيها قوما قد استحقوا القتل ، وإنما حبستهم منة منك عليهم بأرواحهم واستبقاء لهم فتخرجهم . وترأس عليهم رئيسا من غيرهم ذا رأى وحزم وبصر بالحروب . فان ظفروا فانه ملك زدته إلى ملكك ، وإن أصيبوا فهو الذي أردته بهم . فبعث إلى السجون فجمع من فيها يستحق القتل . فكانوا عشرة آلاف رجل . فرأس عليهم وزيرا ، وكان من الأساورة المتقدمين . طالما بالحروب ، وقد أتت عليه مائة وعشرون سنة ، وسقط حاجباه على عينيه كبرا وهما . فحملهم في البحر في عشر سفائن . فلما انتهوا إلى سيف عدن قال بعضهم لبعض : علام نغمر بأنفسنا مع ابن الفاعلة ؟ فحملوا أنفسهم على الجسور ، وهي مجازة ثابتة في البحر . فانكسرت من السفن ثلاث وسلت سبع إلى عدن فتسامعت به العرب . فاجتمعت إليه ، واجتمعت الحبشة إلى ملكهم مسروق أبرهة فزحف بهم إليهم . فتأهب سيف للقتال وقال الأسوار وهو وهرز : ما الرأي عندك ؟ فقال : الرأي أن نقاتل أو نهلك ضبرا . فان السفائن قد انكسرت ، ونحن بحيث لا نتوقع من الملك إمدادا . فعمد إلى عصاة حمراء فشد بها حاجبيه : وتنكب قوسه ، وعبر أصحابه ، وقال لوهرز : كن أنت وأصحابك حجرة ودعنا والقوم . قال ثم إن سيفاً خاطهم فاقتتلوا مليا . ثم قال وهرز ، وكان ضعيف البصر : على أي الدواب يقاتل ملككم ؟ قالوا له على الفيل . فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه فقالوا : قد تحول إلى الفرس فقاتلهم ساعة ثم سأل عنه

فقالوا : قد تحول إلى البغل . فقال : البغل ولد الحمار ، والحمار ذليل . ذل
وذل ملكه ورب الكعبة . ثم أستموا له سمته . فلما استقر بصره عليه - وقد
ربط حاجبيه بحريرة أخذ قوسه ، وكان لا يوترها غيره - ثم نزع فيها وكان على
مسروق تاج ، وبين عينيه ياقوتة حمراء فرماه ففلق الياقوتة وتغلغل السهم
في رأسه فخر لوجهه ، وانهمزت الحبشة فجعل الرجل منهم يأخذ البقلة
أو العود فيضعه في فيه يستأن به ، ويدخل منهم النفر الخائط أو الدور
فتقتلهم النساء والصبيان . حتى أتى على آخرهم وكان كسرى عهد إلى وهرز .
فقال له : إذا سرت إلى اليمن فظفرت بالقوم فاجمع أهلها وسلمهم عن سيف .
فإن كان من ملوكها كما زعم فتوجه بهذا التاج ، وقد كان أعطاه تاجا وقفازين ،
وملكه على قومه . واجب أنت المسال ، وإن كان كاذبا فاقتله واكتب إلى
لاكتب إليك برأى . فلما تمكن من البلاد جمع أبناء الملوك فقال : كيف
سيف ؟ فقالوا ملكنا وابن أملا كنا أدرك بئارنا ، فتوجه وملكه ، وكتب
إلى كسرى بذلك فأقره باليمن ومنهم الذين يعرفون بالأبناء بصنعاء إلى اليوم .
[المعنى] أن سيف بن ذى يزن ملك اليمن لما كانت نفسه كبيرة ،
وهمة عالية ، لم يرض أن تحتل الأحباش وطنه وتتغلب على بلاده وهو من
أبناء ملوكها فحرم على نفسه المقام بوطن ذليل ، واتخذ جميع الأسباب الممكنة
وغير الممكنة في إخراج المحتلين لوطنه على غير هدى ، ولم تهدأ نائثرته حتى
رماهم بجيش سفاك ، أهلك عاهلهم ، وشتت جمعهم ، واستأصل شأفتهم ،
ثم جلس على سرير ملكه في محراب غمدان من صنعاء المزدان بالصور المرمرية
الفخمة ، والأشكال البديعة ، متوجا بتاج العز والفخار ، ممتعا بعظيم الأجلال
وآيات الإكبار :

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ثُمَّ ابْنُ هِنْدٍ بَاشَرَتْ نِيرَانَهُ يَوْمَ أَوَارَاتِ تَمِيمًا بِالصَّلَاةِ^(١)

يقصد : ألا بدع في أن أركب الصعاب ، وأتخذ الحراب ، لأنال ما أتمنى كما فعل ذوو الهمم العليا قبل .

(١) قوله باشرت : أى خالطت . يوم أوارات : يوم معروف من أيام العرب وأوارات : اسم موضع وقوله : تميمًا : يعنى قبيلة ، والنسبة إليها تميمي . الصلا : وهج النار ، وهو مقصور إذا فتحت ، وإذا كسرت الصلا مددته فقلت الصلا . ابن هند : هو عمرو عم النعمان بن المنذر ، وهو الذى يلقب بمضطرط الحجارة وهو الذى قتل طرفة العبد .

(قصة عمرو بن هند مع بنى تميم) : وكان عمرو بن هند شديد البأس وكان عم النعمان بن المنذر وكان له أخ مسترضع فى بنى تميم فخرج يوماً فريصيداً بإبل لرجل من بنى تميم فرأى فيها ناقة حسنة فرماها ففقرها فجاء صاحبها فلما رآها معقورة وثب عليه فقتله فنذر عمرو بن هند أن يقتل من بنى تميم مائة بدلا منه ، فغزاهم يوم أوارات فسبى ما أصاب فى بلادهم ، وأقبل يقتلهم على الثنية ، وآلى ليقتلهم حتى يبلغ الدم إلى الأرض وليحرقهم فقبل له أيها الملك لترفعن أو قد أفنيتهم فقال : والله لا تركتهم أو تأتوني بمائة رجل من خيارهم فطلبوا فلم يوجد منهم إلا تسعة وتسعون رجلا . فلما جرى بهم أمر بحفر زبية فاحتفرت له ثم قال أضرموا نارا والقوا فيها الحطب فأججت نار عظيمة فقال ألقوا فيها رجلا رجلا وبقي واحد من نذره فبينما هم كذلك ، إذ هم برجل راكب قد طلع عليهم ، وكان من البراجم ، فأبصر الدخان ووجد قنار لحومهم على بعد فظن أنه طعام يصنع للناس . فأقبل نحوهم فلما بلغ ورأى ما رأى جزع . فقال عمرو : انظروا من الرجل فأخذ فأتى به إليه فقال من أنت؟ فقال رجل من البراجم فقال عمرو :

• إن الشقي وافد البراجم •

مَا أَعْتَنَ لِي يَأْسٌ يُنَاجِي هِمَّتِي إِلَّا تَحَدَّاهُ رَجَاءُهُ فَكَتَمْتِي^(١)
أَلْيَةً بِالْيَعْمَلَاتِ يَرْتَمِي بِهَا النِّجَاءُ بَيْنَ أَجْوَازِ الْفَلَائِ^(٢)

ثم قال ألقوه في النار لستم نذرى ، فألقى فيها قتم نذره ، والبراجمة من بنى تميم .

[المعنى] إن لى فى عمرو بن هند عم النعمان بن المنذر ملك العرب لا كبير أسوة ، فقد عمل على الوفاء بنذره ، حين الأخذ بثأره ما لم يعمل شجاع قبله ، فخرق من بنى تميم خيارهم ، وأسأل من نفر العشيرة دماءهم . أخذا بثأر أخ له فى الرضاع ، وكانوا لسوء طالعهم قد اعتدوا عليه . وإنى معه على حد قول القائل :

لا تسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

(١) ما اعتن: أى ما اعترض . وتحدها : اعتمده وقصده . فاكتمى : استتر وتغطى ، ومن ذلك سمي الشجاع كى لا استتاره بسلاحه ، وقيل بل سمي كى لأنه يكى شجاعته أى يسترها فلا يظهرها إلا عند الحاجة إليها .

(٢) قوله : ألية باليعملات : أى قسما باليعملات ، والنصب على المصدر كأنه قال أولى ألية باليعملات ، أو آليت ألية باليعملات ، واليعملات : جمع يعملة وهى الناقة الصلبة الشديدة ، ويقال للذكري عمل . النجاء : السرعة . والأجواز : جمع جوز ، وجوز كل شئ وسطه ، الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء . وكتابتها بالآلف لأنك تقول فى الجمع فلوات .

[المعنى] لم يعرض لى يأس من بلوغ أملى إلا عارضه ودافعه رجاء أقوى منه جانبا يحوه من الوجود الظاهرى ويستره عن العيان . وأقسم بالابل القوية العاملة التى يرتعى أى يتنابع بها النجاء أى سرعة العمل فى حمل الأثقال وما إليها من قطع المسافة للرحل بين أوساط الصحارى سهلة أو وعرة

خُوصٍ كَأَشْبَاحِ الْخَنَازِيرِ يَرْغُفْنَ بِالْأَمْشَاجِ مِنْ جَذْبِ الْبُرَا^(١)
يَرْسُبْنَ فِي بَحْرِ الدُّجَى وَبِالضُّحَى يَطْفُونَ فِي الْآلِ إِذَا الْآلُ طَفَا^(٢)

(١) الخوص ، الابل الغائرة العيون من الهزال ، وقيل الخوص : الضيقة العيون ، لأن الخوص : ضيق العيون ، والفعل منه خوص يخوص خوصاً والذكر أخوص ، والآثي خوصاء . الأشباح : الأشخاص واحداها شبح . الخنايا : القسي واحداها حنية . شبه الابل بها لضمها . وضمير : جمع ضامر وهو المهزول وهو اللاحق البطن أى الضامر البطن كما قال حميد الارقط :

• لاحق بطن بقرى سمين •

أى ضامر . يرغفن : أى يسلن ، وهو مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف . الأمشاج : الأخلاط واحدهم مشج ، وهو ما يسيل من أنوف هذه النوق التى نعتها بخوص من المختلط المتغير بالدم وقوله . من جذب : أى من سوق وفيه لغتان جذب وجذب على التقديم والتأخير ويقال جذب وجذب إذا ساق ، وفلان شديد الجذب والجذب أى السوق . البرا : جمع برة ، وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير من صفر أو حديد أو فضة . فان كانت من شعر أو صوف فهى خزامة ، وإن كانت من عود فهى خشاش فان كانت من بقية جبل فهى عران .

(٢) يرسبن : يغبن ، الرسوب : الغوص فى الماء والمغيب فيه إل أن يبلغ قعره . بحر الدجى - هنا مثل - الدجى : الظلة وهو جمع واحدها دجية ، وإنما يريد أن هذه النوق تغيب فى ظلمة الليل وتظهر فى خلال النهار . الضحى : بضم الضاد مقصور هو طلوع الشمس واستشرافها ، وأما الضحاه بفتح الضاد والمد فهو فوق ذلك وهو القائلة . يطفون : أى يعلون ، والطافى فوق الماء : المرتفع كما قال الشاعر :

أَخْفَاهُنَّ مِنْ حَفَا وَمِنْ وَجَى مَرْتُومَةً تَخْضِبُ مُبَيَّضَ الْحَصَا^(١)
يَحْمِلُنَ كُلُّ شَا حِبٍ مُحَقَّقِفٍ مِنْ طُولِ تَذَابِ الْغُدُوِّ وَالسُّرَى^(٢)

فما سبق القيسى من سوء سيرة ولكن طفت علماء غرلة خالد
الآل : ما رفعته الشمس غدوة، والسراب : إنما يكون في اتصاف النهار
كأنه ماء وليس بماء قال الله عز وجل : (والذين كفروا أعمالهم كسراب
بقية يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) وطفا : ارتفع يقال
طفا يطفو فهو طاف .

[المعنى] أقسم بالآبل العاملة المذكورة في البيت قبله ، الضيقة العيون
حديدة الإبصار بها ، الضامرات الجسم كالقسي الصلبة والبطن أيضا لتكون
خفيفة في علفها وسيرها ، يسيل من أنفها مخاط ممزوج بدم من جذب السائقين
من أنوفها المخزومة بالحلقات ، اللاتي تغيب في ظلمة الليل في مسراها بالعنق
الفسيح ، وتظهر أثناء النهار في وقت تظهر فيه الشمس في مكان قطعت
وراءه أمكنة نائية ، فتكون كغواص تعمق في قاع البحر وغاب عن الأعين
ثم طفا على وجه الماء وظهر للناظرين .

(١) الأخفاف : للآبل بمنزلة الحوافر للخيول . الجفا : مقصور رقة
أخفاف الآبل وحافر الدابة من كثرة المشي . الوجى : بالجيم وفتح الواو
مقصور وجع في الرجل يصيب الرجل من الحفاء يقال من ذلك وجى الرجل
يوجى وجى فهو وج . مرتومة ، مشقوفة من الحجارة وقيل مكسورة ، وتخضب :
تصبغ . الحصا : جمع حصاة مثل قطا وقطاة .

(٢) الشاحب : المتغير اللون من السفر أو التعب أو سوء الحال المحقَّقِف :
المعرج الذي قد حنى ظهره يقال احقَّقِف بحقه وقف حقيقة فا إذا انحنى التذآب :
(٤ - ابن دريد)

بَرٍّ بَرَى طُولُ الطَّوَى جُثْمَانَهُ فَهَوَ كَقِدْحِ النَّبْعِ مَخْنَى الْقَرَا^(١)
يَنْوَى الَّتِي فَضَّلَهَا رَبُّ الْعَلَا لَمَّا دَحَا تَرْبَتَهَا عَلَى الْبُنَى^(٢)
حَتَّى إِذَا قَابَلَهَا اسْتَعْبَرَ لَا يَمْلِكُ دَمْعُ الْعَيْنِ مِنْ حَيْثُ جَرَى^(٣)

المداومة والعادة يقال دأب يدأب دأباً ودؤوباً وتداًباً . السرى : سير الليل
[المعنى] أخفاف الابل المقسم بها مشقوقة من شدة ماعرض لها من تتابع
السير الذى لكثرت وطول مسافته أحفاها وأوجى أرجلها ، فتنشفت أخفافها
وسال منها أثناء سيرها دم منها يخضب مبيض الحصى ، وهن يحملن الرجل
الدائنين المسير ، الشاحبين الألوان الممتععين الوجوه ، لتعبهم الملازم لسفرهم
الدائم ، المنحية أظهرهم لتعودهم على الانحناء أثناء سيرهم على أظهرها ليل نهار
وهزهن للرا كبن عليها بما يحمل التصوب أكثر من التصعد ، والغدو : أول
النهار . والمقصود هنا السير عليها نهاراً بقرينة السرى وهو السير ليلاً .

(١) قوله بر : أى مطيع يقال رجل بر : أى مطيع لله عز وجل ، والجمع
أبرار ، وهو نعت للشاحب فلذلك خفض . برى : هزل وذهب لحمه ، ومنه
برى القلم أى إضعافه وترقيقه وتحديد طرفه . الطوى الخص : وهو الجوع
يقال طوى يطوى طوى قال عنتره :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـ
جثمانه : جسمه . القدح : عود صلب تعمل منه سهام . النبع : شجر
تعمل منه القسي واحدها نبعة . المخنى : المعوج . القرا : الظهر .

(٢) ينوى : يقصد ، مأخوذ من النية ، والنية القصد . وقوله التى فضلها
رب العلا : يعنى مكة . دحا : بسط ، البنى : جمع بنية وهو الشئ المبني .

(٣) استعبر : بكى ، وهو مأخوذ من العبرة وهى الدمعة وقوله قابلهما : يعنى
الكعبة فاهاء فى قابلهما راجعة على الكعبة وهى بيت الله . اثنى : رجع بعد

ثُمَّتَ طَافَ وَأَنْتَنَى مُسْتَلِمًا ثُمَّتَ جَاءَ الْمُرَوَّتَيْنِ فَسَمَى^(١)
وَأَوْجَبَ الْحَجَّ وَتَنَى عُمْرَةً مِنْ بَعْدِ مَا عَجَّ وَلَجَى وَدَعَا^(٢)

طوافه إلى الاستلام الاستلام : تقبيل الحجر الأسود . ثمت : بمعنى ثم إلا أنهم يزيدون التاء فيها كما يزيدونها بمعنى التأنيث في قولهم : قامت وكذلك يفعلون في رب فيقولون رببت .

(١) قوله طاف : يعنى بالبيت . انتنى . انعطف . قوله : مستلم أي ماسا الحجر الأسود بيده أو بقمه وهو مأخوذ من السلمة وهو الحجر ووزنه مفتعل وجمع السلمة سلام . قوله ثمت جاء المروتين : يريد بالمروتين الصفا والمروة ، وهما موضعان من مناسك الحج ، والمناسك : المواضع التي يتقرب فيها إلى الله بصالح العمل ، وأصل الصفا : الحجارة الصلبة ، والمروة الحجارة المتينة وواحدة المرو مروة ، وغلب المروة على الصفا فقال المروتين لأنها أشهر من الصفا ، سماهما باسم واحد كما تقول العرب القمران يعنون الشمس والقمر . وقوله فسعى : أي مشى والسعى المشى ، ويسكون سعى أيضاً بمعنى عمل قال الله عز وجل ذكره : (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) . [المعنى] أن هذا البر قاصد مكة برحيله على الإبل المقسم بها آنفا إذا وصل مكة المشرقة لم يملك دمه حتى يسيل لمزيد شوقه إلى ما فيها من شعائر الله ، ثم طاف بالبيت ملياً تائباً مستغفراً ، ورجع مستلماً الحجر الأسود بيده يقبله بقمه ، ثم بعد مطافه سبعا سعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط مقتدياً بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم .

(٢) قوله وأوجب الحج : أي ألزمه نفسه : الحج : القصد وفي تسميته حجاً ثلاثة أقوال قيل هو من حججت فلاناً إذا قصدته ، فسمى حج البيت حجاً لقصد الناس إليه ، وقيل الحج الزيادة فسمى الحج حجاً لعودتهم إلى البيت في كل عام مرة بعد مرة قال الشاعر :

ثُمَّ رَاحَ فِي الْمَلِيْنِ إِلَى حَيْثُ تَحْجِي الْمَازِمَانَ وَمَنِ (١)

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون بيت الزبرقان المزعفرا
وقوله وثني عمرة : أى ألزم نفسه مع الحج عمرة فجاءت بعد الحج ثانية
والعمرة : فى كلام العرب الزيارة ، والمعتمر فى غير هذا الموضع المعتز . قال
الشاعر :

يهل بالفرقد ركبانا كما يهل الراكب المعتمر
وقوله : من بعد ماعج : أى رفع صوته بالدعاء . التلبية : قولهم ليك اللهم
ليك لا شريك لك ليك . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، وأصله
عند الخليل وسيبويه من ألبت بالمكان إذا أقمت به ، ولبيت أيضا لغة ، قال
الخليل وسيبويه : ثم قلبوا الباء الثانية ياء استقالا . كما قالوا تظنيت من الظن .
والأصل . تظنت ، وكذلك قالوا لبيت ، والأصل لبيت فكان معنى قولهم
ليك أنا مقيم على طاعتك . قد أجبتك إلى ما دعوت ثم تنوه للتوكيد فقالوا
ليك أى أقنا على طاعتك إقامة بعد إقامة . لأنه كان قبل أن يثنى لب فجأوا
بالياء للثنية ، ولم يستعمل مفردا ، وروى عن الخليل قول آخر وهو أنه
مأخوذ من قولهم أم لبة : أى عاطفة على ولدها فيكون معنى ليك على هذا
القول : إقبالا عليك يارب وانعطافا إلى المكان الذى دعوت إليه فأجنا
مسرعين ، ويمنا مهطعين . قوله فى الملبين : الملبون جمع ملب ، والملبى هو
المجيب بالتلبية .

(١) قوله راح : خرج بالروح وهو الخروج بالعشى ، والقُدو أول
النهار : قال الله عز وجل (غدوها شهر ورواحها شهر) . المَازِمَانَ جبلان
بين المزدلفة ومنى . منى : هو محل رمى الجمار بمكة . تحجى : أى أقام . يقال
تحجى بالمكان ، وحجى : إذا أقام فيه ولبث .
[المعنى] وألزم نفسه بالحج وقام بأداء هذا الواجب المقدس على كل

ثُمَّ أَتَى التَّعْرِيفَ يَقْرَأُ مُخْتَبِئًا مَوَاقِفًا بَيْنَ أَلَالٍ فَالْتَقَا^(١)
وَأَسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا وَالسَّعْيَ مَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالصَّوَى^(٢)

مستطيع ثم أردفه بالعمرة الواجبة كذلك بعد أن رفع عقيرته بالدعاء حين طوافه ، ولبي بدعاء التلبية إجابة لداعى ربه وأسوة بما فعله رسوله المطهر ، ثم ذهب مع الملبين إلى رمى الجمار بمزدلفة وبات بمنى لتنام هذه الشعيرة التي لها مغزاها الروحي ، حيث القصد برمى الهدف المخصوص بالجمار السبع الواردة : إنما هو قذف كل ما يجر إلى الفساد ، وسوء المغبة ، من أخلاق مردولة ، وعادات منكرة ، في شخص إبليس أس الوسواس السيئة ، والخواطر العقيمة ، وليس الهدف إبليس ولا محل حلوله فيه ، وإنما هو شاخص لا بد منه للقاذف حيث يرمى إلى غرض يتذكر به من أخذ على نفسه العهد بالغواية فيما حكى الله تعالى عنه بعد طرده من رحمة ربه قال : (لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) .

(١) التعريف وعرفات واحد ، وهو اسم موضع من مناسك الحج .
يقرو : يتبع المواضع ويدخل من موضع إلى موضع ، المختبئ : المتواضع المخلص لله تعالى . قال الله عز وجل (وبشر المختبين) . ألال : حوض بعرفات يقوم فيه الإمام بالناس يوم عرفة . النقا : الرمل وهو مقصور يكتب بالآلاف على قول من قال في تثنيته نقوان ، ويكتب بالياء على قول من قال نقيان ، وأما النقاء بمدوداً فمصدر الشيء النقي .

(٢) قوله استأنف : أى ابتدأ . السبع : يعنى رمى الجمار السبع . وسبعاً بعدها : أراد السبع الثانية التي تلى الأولى وقوله السعى : يعنى المشى . العقاب : جمع عقبة . الصوى : الكدى ، وهى جمع صوة ، وقيل الصوى : الحجارة التي تنصب على الطريق ليهتدى بها .

وَرَّاحَ لِلتَّوْدِيعِ فِيمَنْ رَاحَ قَدْ أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هُجْرَ اللَّغَا^(١)

[المعنى] ثم بعد عقده النية على مناسك الحج وانعمره جاء عرفة ليقف بهذا الموضع المقدس والركن الأساسى فى الاعتداد بالحج ، وهو يقرو أى يتبع أما كن المناسك العظام ، والمشاعر الحرام ، مخبتا طائعا مخلصا لمولاه العظيم ، واقفا بين الموضعين المعروف أحدهما بالآل وهو بعرفة ، وثانيهما بالنقا ، وهو موضع رملى قريب من آل ، ثم ابتداء رمى الجمار السبع بمنى فى اليوم الأول من عيد الاضحى المبارك ، وأتبعها بسبع أخرى ، وتعرف بحجرة العقبة ، ساعيا بين العقاب جمع عقبة ، والصوى ، وهى العلامات الموضوعة لتعريف الحجاج مواطن العقاب المطلوب رمى الجمار إليها ، أوهى الأرض الصلبة الغليظة قال فى المنجد : الكدية : الأرض الصلبة الغليظة - الصفاة العظيمة الشديدة جمعها كدى اه .

(١) قوله : وراح للتوديع : أى لتوديع البيت الحرام ، وكذلك يفعل الحاج بعد الفراغ من رمى الجمار والذبح والحلق يذهب إلى البيت مودعا فيطوف به سبعا ، ويسعى بين الصفا والمروة سبعا ، ويرجع إلى منى فيقيم بها ثلاثة أيام ، ومنهم من يتعجل فى يومين ثم يتفرون كما قال الشاعر :

ولله عينا من رأى من تفرق أشت وأناى من فراق المحصب
فريقان منهم جازع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب
وقوله : أحرز أجرا : أى ملكه وأصابه . قلى : بغض ، ومنه قوله جل
وعلا : (ما ودعك ربك وما قلى) وتصريفه قلى يقلى قلاء . الهجر : يضم
الهاء القيسح من الكلام ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم : « إني كنت
نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا ، يقال منه هجر الرجل
يهجر هجرا إذا تكلم بكلام قيسح ، والاسم منه الهجر ، وأما الهجر بفتح الهاء
فهم الهذيان فى القول . كما يفعل صاحب الموم والبرسام ، والهجر أيضا

بِذَاكَ أَمْ بِالْخَيْلِ تَعْدُو الْمَرْطَى نَاشِزَةً أَوْ كِتَادَهَا قُبَّ الْكَلَى (١)

بفتح الهاء القطع والصريمة . تقول هجرت فلانا إذا قطعته أجمره هجرا فيهما جميعا . اللغا : هو الباطل من الكلام ، وفيه لغتان لغو ولغا . قال الله عز وجل : (والذين هم عن اللغو معرضون) .

(١) قوله : بذاك أم بالخيل : هذه الباء متعلقة بقسم محذوف تقديره أقسم بذاك أم بالخيل . تعدو : بالعين الغير المعجمة أى تجرى . يقال عدا يعدو عدوا إذا جرى . المرطى : ضرب من العدو وهو السهل منه . ناشزة : بالزاي المعجمة أى مرتفعة ، ومنه قولهم قعدت على نشز من الأرض أى مرتفع ، ومنه قوله جل ذكره : (وإذا قيل لكم انشزوا فانشزوا) أى ارتفعوا . أ كِتَادَهَا جمع كتد ، وهو العظم الذى يكون فى رأس الكتف ، وقيل الكتد ما بين الكاهل ووسط الظهر . قب الكلى : أى ضامرة الكلى ، وقب : جمع أقب .

[المعنى] ثم ذهب بعبد رمية الجمار بنى مع الإجماعين إلى البيت الحرام ليطوف به سبعا طواف الوداع وسعى كذلك بين الصفا والمروة وقد أحزن أى ملك من الله أجرا عظيما متى هجر فحش القول ولغو الكلام ، ثم انتقل إلى كلام جديد فقال : أقسم بذاك وهو ما تقدم له ذكره من الإبل التى تحمل حجاج بيت الله الحرام المخلصين الطائعين لربهم ، أم أقسم بالخيل التى تعدو أى تجرى جريا مشجعا يسمى بالمرطى حال كونها ناشزة أى رافعة مقدم أكتافها أمانة الاجتهاد فى العدو ، مع نشاط الأجسام ، ومهارة الركاب فى تنشيط خيولهم ، أو المعنى رافعة عظام ظهرها المقابل لصدورها أمانة استجماعها لأعصابها القوية ، واستفزازها لقطع المسافة بلا فتور أو تليكو ، وحال كونها ضامرة الكلى كناية عن ضمور بطونها ما يساعد على سرعة العدو وبعد التعب والصبر على استمرار المسير - وقوله فى الشرح

شُعْنًا تَعَادَى كَسْرَاحِينَ الْفَضَا مِثْلَ الْحَمَالِيقِ يُبَارِينَ الشُّبَا^(١)
يَحْمَلِينَ كُلَّ شَمْرِيَّ بَاسِلٍ شَهْمِ الْجَنَانِ خَائِضٍ غَمَزَ الْوَغَى^(٢)

كما يفعل صاحب الموم والبرسام أى كالهذيان الحاصل من المصاب بهذا الداء الباطنى الذى يؤثر على القوى العقلية بعض التأثير فيعرف لسان المصاب به بما لا يعرف ، والموم والبرسام مترادفان ، وهو التهاب فى الحاجز بين الكبد والقلب قال فى المنجد : برسمه : أحدث فيه البرسام ، وهو التهاب فى الحجاب الذى بين الكبد والقلب ، وبرسم بالبناء للفعول أصيب بالبرسام فهو مبرسم . ميم موماً الرجل أصابه الموم وهو البرسام ، أو أشد الجدرى الذى يجعل الجسم كله قرحة واحدة فهو موم اه .

(١) شعناً : مقربين من الله عز وجل ، وقيل الشعث الثائرة الأعراف أى المرتفعة شعر الأعراف . الأعراف : جمع عرف . وتعادى : تسابق أراد تعادى . سراحين : ذئاب ، الواحد سرحان . الفضأ : شجر يدوم جمه . ميل الحماليق : أى مائلة العيون . يبارين : يعارضن . الشبا : مقصور جمع شبابة ، وشبابة كل شيء حده ، يريد بها هنا أطراف الرماح .

(٢) قوله : يحملن : يريد الخيل . الشمرى والشمر : الماضى فى الأمور ، وهو مأخوذ من التشمير ، يريد كل مشمر لملاقاة أقرانه مشدد لذلك . الباسل : الشجاع مشتق من البسل وهو الحرام ، فكأن الباسل حرم على أقرانه الدنو منه لشجاعته وشدة ، وقيل الباسل المر ، وقد بسل الرجل يبسل بسالة إذا صار مرأ . شهْم الجنان أى حاد القلب . الجنان : بفتح الجيم القلب وقوله : خائض : أى داخل والفعر الماء الكثير الذى يغطى من دخله ، الوغى : صيحة الناس فى الحرب إلا أنهم سموا الحرب وغى باسم الصياح الذى يكون فيه .

يَنْشَى صَلَاةَ الْحَرْبِ بِحَدِيثِهِ إِذَا كَانَ لَظَى الْحَرْبِ كَرِيهَ الْمُضْطَلِّ (١)
لَوْ مُثِّلَ الْخُتْفُ لَهُ قَرْنًا لَمَّا صَدَّتْهُ عَنْهُ هَيْبَةٌ وَلَا أُثْنِيَ (٢)

[المعنى] : أقسم بالخيل المذكورة حال كونها شعنا أى رافعة شعور أعرافها الكائنة على أعناقها ، أمانة شدة التحفز والقوة ، حال كونها تتحدى أى تتسابق فى عدوها كذئاب الغضا ، وكنى به عن الصحراء حيث لا يثبت إلا فيها، وذئاب الغضا قوية لجفاف منبته وصلابة أحجارها، والجسم إذا لم تمسه الرطوبة صلب كالحديد . وحال كونها ميل الخاليق أى مائلة العيون ، كناية عن شدة التطلع إلى قطع الأمام وبعد النظر وشدة الاحتراس ، يبارين الشبا ، أى يسابقن أطراف الرماح فى الحدة وقوة النفوذ ، يحملن كل شمرى أى ماضى العزيمة ، بأسل شجاع ، ثابت القلب ، قويه ، يخوض غمار الحرب، غير هيب ولا وكل .

(١) يغشى : يدخل . الصلا : مفتوح مقصور حر النار فإذا كسر أوله مد فقبل صلاء . لظاها : أيضاً حرها .

(٢) قوله لو مثل الختف . مثل : صور . الختف الهلاك . القرن : الذى يقارنك فى بطش أو قتال أو علم . صدته : منعته ، ومنه قوله تعالى : (وصدوكم عن المسجد الحرام) وقوله . هية : أى مخافة ، والهيبة أن يعظم الإنسان فى عينك وتهايه أى تخافه . اثنى : رجع ، والاثناء الرجوع عن الشئ . والانصراف عنه .

[المعنى] يدخل هذا الفارس فى نار الحرب ماضلاً بحد سيفه ونصل حرا به حتى إذا كان حر الحرب لا يطاق لأكثر المناضلين ، وحتى لو مثل وصور الموت خصمه له ونادى لما فر منه ولا توائى عن منازلته ومقارعته على حد قول الشاعر :

لبث أحمأ الهيجا إذا الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا الموت نزل

وَلَوْ حَمَى الْمِقْدَارُ عَنْهُ مُهْجَةً لَرَامَهَا أَوْ يَسْتَبِيحَ مَا حَمَى^(١)
تَغْدُو الْمَنَائَا طَائِعَاتٍ أَمْرَهُ تَرْضَى الَّذِي يَرْضَى وَتَأْتِي مَا أُنْبَى^(٢)

(١) حمى : يحمى حماية يمنع . المقدار : هو القدر يعنى قدر الله عز وجل .
المهجة : النفس وجمعها مهج . رامها : طلبها وأدركها . يستبيح : يدرك ذلك
الشيء نافذا أمره فيه ، ونصب يستبيح بأو لأن أو هنا بمعنى حتى ، وأو إذا
كانت بمعنى حتى أو بمعنى إلا أن كان الفعل بعدها منصوباً . فاما كونها بمعنى
حتى فمثل هذا الذى ذكرنا ، وأما كونها بمعنى إلا أن فمثل قولك لأضربنك
أو تقرأ أى إلا أن تقرأ ، ومنه قول امرئ القيس :

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا
وإن وقعت أو فى موضع لا يصح فيه إلا أن أو حتى كان الرفع لا غير
كقولك أجلس أو تقوم . أتزورنا أو تقطعنا .

(٢) تغدو : تأتى بالغدوة مبكرة اليه ، ويروى تعدو بالعين غير المعجمة
ومعناه تسرع إلى طاعته وتبادر إلى إرادته . تأتى : تكره ولا تريد وتصريفه
أبى يأتى إباء وإبابة فهو أب .

[المعنى] لو حمى القدر من هذا الفارس نفساً لطلب إدراك وطره فيها
حتى يستبيح ما حماه القدر منه ، وهو فى هذا المعنى مجترى جراً أهل العصر
من الكتاب غير المحافظين بيد أن المعنى المقصود على الكناية أن هذا الفارس
لقوة بأسه ورباطة جأشه لا يرضى أن يغالب ، ولا أن يقف عند حد .
يؤيد ذلك قوله بعده : تغدو المنايا طائعات أمره الخ يعنى أن أرواح المنايا
تصبح فى حومة الوغى فى قبضة يده إن شاء سرحها ، وإن شاء قضى عليها .
فيمتنع الموت عن أراد حياته وينزل بمن أراد النزول به .

بَلْ قَسَمًا بِالْأَلَىٰ مِمَّنْ يَعْرُبَ هَلْ
 هُمْ الْأَلَىٰ إِنْ فَخَرُوا قَالَ الْعَلَا
 لِمُقْسِمٍ مِّنْ بَعْدِ هَذَا مُنْتَهَىٰ^(١)
 بَنِي أُمْرِي فَأَخْرَكُمُ عَفْرُ الْبَرَىٰ^(٢)
 هَامِيَةً لِّمَنْ عَرَىٰ أَوْاعَتَقَىٰ^(٣)

(١) قوله : بل قسما : أى يمينا . الشم : الطوال وقيل أشراف الناس .
 يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان . المقسم :
 الحالف . منتهى : غاية .

(٢) قوله : هم الألى : بمعنى هؤلاء . العلا : الفخر والرفعة . بنى امرى :
 أى بقمه . عفر الأرض : وجهها . البرى : مقصور التراب يقال ماعلى عفر
 الأرض مثله أى وجهها .

[المعنى] بل أقسم بأشرف الناس المعروفين من سلامة يعرب بن يشجب
 ابن قحطان أصل العرب ، وليس لمقسم بأشرف الناس بعد هذا القسم غاية
 أن ما أبغى الشاء عليهم ، وأذكر خصالهم الحميدة ، هم الألى أى الذين إن طلبوا
 الفخر على غيرهم قال الفخر نفسه بلسان الإنسان : لقد فاخركم عفر البرى ، أى
 خير من ظهر على وجه العفراء وهى البسيطة والأرض الممهدة للسكنى
 والارتفاع .

(٣) الينايع : العيون التى تجرى بالماء فى الأرض . قال الله جل ذكره :
 (فسلكه ينابيع فى الأرض) واحدها ينبوع قال الله جل ذكره : (حتى
 تفجر لنا من الأرض ينبوعا) . الندى : الجود ، وهو الكرم هامية :
 سائلة يقال همى المطر إذا سال . عرا : قصد وتعرض للطلب يقال : عرانى
 واعترانى إذا تعرض لسؤالى . المعتز : المعارض ومنه قول الله جل ذكره :
 (وأطعموا القانع والمعتز) والقانع : هو السائل والمعتز : المعارض ، وقوله :
 أو اعتنى : أى طلب من غير تعرض ، والمعتنى الطالب للقرا والرغد ، وجمعه
 سعتفون ، ويقال فيه أيضاً عاف وعفاة .

هُمْ الَّذِينَ دَوَّخُوا مَنْ انْتَحَى وَقَوْمُوا مِنْ صَعِرٍ وَمِنْ صَعَا^(١)
هُمْ الَّذِينَ جَرَّعُوا مَنْ مَا حَلُّوا أَفَاقَ الضَّيْمِ مُرَّاتِ الْحَسَا^(٢)
أَزَالَ حَشَوَ نِثْرَةٍ مَوْضُونَةٍ حَتَّى أَوَارَى يَنْ أُنْثَاءِ الْجُنَى^(٣)

(١) قوله الذين دَوَّخُوا مَنْ انْتَحَى : أى أذلوا ، يقال : دَوَّخْتُ فلاناً إذا أذلته ، ودَاخَ هو في نفسه إذا ذل . انْتَحَى : وهو اقتعل من النخوة . الصعر : أيضاً التكبر ، وأصل الصعر الميل ، وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر . قال الله جل ذكره : (ولا تصعر خدك للناس) أى لا تتكبر وقرئ : ولا تصعر ، تقول رجل أصعر وامرأة صغراء . الصغا : الميل قال الله جل ذكره : (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) أى ولتميل .

[المعنى] أن الممدوحين هم الذين جعلوا ينابيع الكرم تفيض بالخيرات وأنواع البر ينهل منها من قصد القرى والضيافة ، ومن لم يقصد بل وصل إلى رحابهم عفوا دون تعرض منه لذلك ، وهم الذين أذلوا من تكبر على الناس ، وشمخ بأنفه ، واعتز بقوته وسلطانه بخار وظم ، وحلوا كل جبار يصعر خده ويعوج في مشيته على الاعتدال حيث يرى نفسه بجوار ما هم عليه من العزة وكرم الخلق لا يقام له وزن ، ولا يسمو له قدر ، إلا إذا اعتدل كما اعتدل الأعز منه جانباً ، وأسمى شرفاً ، وأكرم موثلاً .

(٢) جرعوا : سقوا . يقال : جرعت فلاناً الشراب إذا سقيته إياه مقطوعاً على مهل طوعاً كان أو كرهاً . ما حلوا : خاصموا وقيل : خادعوا . الأفاق : شرب مقطوع ، نفس بعد نفس . الضيْم : الذل . الحسا : جمع حسوة ، وهو أخذ الشيء بفمك متجرعاً له قليلاً قليلاً .

(٣) قوله أزال : هو جواب القسم في قوله بل قسماً بالشم ، وأراد لا أزال والعرب تقول والله أفعل كذا بمعنى لا أفعل مستعمل إسقاطها في الجواب

وَصَاحِبِي صَارِمٌ فِي مَثْنِهِ مِثْلُ مَدَبِ النَّمْلِ يَغْلُو فِي الرَّبِّي^(١)
أَيْضَ كَالْمِلْحِ إِذَا أُتْضِئَتْهُ لَمْ يَلْقَ شَيْئًا حَذُهُ إِلَّا فَرَى^(٢)

قال عز وجل : (تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تفتؤ وقال امرؤ القيس :
فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى
أراد لا أبرح . وقوله : حشو ثرة موضوعة : أى لابس ثرة ، لأن الحشو
ما حشى به أى أدخل في جوفه فكأنه صار حشواً إذا لبسها . الثرة الدرع
الواسعة . وكذلك التلة . الموضوعة : المحكمة النسيج قال الله عز وجل :
(سرر موضوعة) . أوارى : أغطى ، والاتنا جمع ثناء ، وهو ما تثنى منها
أى تراكب وانعطف على بعض . الجثى : جمع جثوة وهو التراب المجتمع .
[المعنى] وهم الذين حملوا من خاصمهم أياً كان شأنه في القوة والمنعة
على أن يتجرع شراب الضيم أى الذل صاغراً ، يشربه ليس سائغاً ، مقطعا
نفساً بعد نفس ، كما يشرب المحتسى الحساء قليلاً قليلاً - ثم قال في جواب
القسم المتقدم : إني لا أزال لابساً درع مديحهم المحكم النسيج ، أسير لإحسانهم ،
حتى أوارى وأدفن بين طيات الثرى ، كناية عن مداومة مديحهم وإطرائهم
مدى الحياة

(١) قوله : وصاحبي : سيفه وفرسه . الصارم : القاطع يعنى السيف ،
وجمعه صوارم . فى مثنه : أى فى ظهره يعنى متن السيف ، يريد بذلك وسطه .
مدب النمل وديبه : مشيه ، هو من دب يدب مدبة ودباً وديبياً إذا مشى يريد
فروند السيف وهو جوهره الذى تراه كأثر النمل . يعلو : يرتفع الربى :
الكدى ، وهى جمع ربوة .

(٢) اتضئته : جردته من غمده . وقوله : فرى : قطع ، والقرى القطع
وتصرفه فرى فرياً .

كَأَنَّ بَيْنَ غَيْرِهِ وَغَرَبِهِ مُفْتَادًا تَأْكَلَتْ فِيهِ الْجُذَى^(١)
يُرَى الْمُنُونُ حِينَ تَقْفُو إِثْرَهُ فِي ظِلِّ الْأَكْبَادِ سُبُلًا لَا تُرَى^(٢)

[المعنى] لا أزال حشو درعهم معتمدا صاحبي الذين هما سيني الصارم القاطع ، و فرسى عظيم التركيب على النواحي الموصوف بمشرف الأقطار الخ في الآيات بعد - ثم وصف سيفه المذكور بأن في منتهى أي ظهره والمقصود وسط جوهره ما يشبه طريق النمل في مشيها إلى الرى جمع ربوة - وهى ما ارتفع من الأرض - يقصد مجرى دقيقا مستويا كمجرى النمل الدقيق المستوى ، أو آثارا دقيقة كآثار مشى النمل تحمل متاعها لتدخره فيما علا من الأرض كناية عن إحكام صنعه وجودة جوهره ، ثم هوذو بريق ولمعان أبيض لطق كالملمح الجبلى الصافى البياض إذا اتضيت أى أخرجه من غمده وسلطته على أى شىء قطعه وفراه .

(١) العير : هنا هو الموضع الناقى فى وسط السيف . الغرب : الحد يعنى حد السيف الذى يضرب به . المفتاد : موضع النار . تأكلت : أكل بعضها بعضاً ، والجذى جمع جذوة وهى الجرة العظيمة .

(٢) والمنون هنا المنية . وتقفو أى تتبع ، والسبل : الطرق واحدها سبيل يريد أن هذا السيف دليل المنية فهو يريها طرق الموت ، وهذا من رقيق الشعر .

[المعنى] كأن بين الموضع البارز فى وسطه وحده موضع نار تتقد جذوتها تأكل ما وصل إليها من وقود ، حتى إذا لم تجد ما تتقد فيه أكل بعضها بعضا على حد قول الشاعر :

والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وهو بهذه المثابة دليل المنية يقودها إلى أعناق أو أكباد من تريد القضاء عليه إذا ما خفى عليها السبيل كناية عن أنه لا يفلت منه من أصابه .

إِذَا هَوَىٰ فِي جُثَّةٍ غَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَتْ خَسَاوَهُ زَكَ^(١)
وَمُشْرِفُ الْأَقْطَارِ خَاطٍ نَحْضُهُ حَا بِي الْقَصِيرِ جُرْشَعُ عَرْدُ النَّسَى^(٢)

(١) هوى في جثة : أى وقع على جثة ففي هنا بمعنى على . الجثة : الجسد وجمعها جثث وغادرها تركها ، ومنه قول الله عز وجل : (لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) . الخسا : الفرد . الزكا : الزوج ، وإنما يعنى به أنه اذا وقع هذا السيف على جسد جعله قطعتين بعد أن كان واحداً .

(٢) مشرف الأقطار : يعنى فرساً . المشرف : المرتفع العالى . الأقطار : النواحي واحدها قطر ، قال الله جل ذكره : (إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) الخاطى : الغليظ . النحض : اللحم . الحابي : بالباء المرتفع . القصير : ضلع فى الجنب ، وهى الضلع السفلى . الجرشع : الغليظ الأضلاع وهو الشديد من الخيل القصير الأضلاع المتصلة الى الصلب . وقيل الجرشع الضخم الصدر ، وهو محمود فى الخيل . العرد : الشديد من كل شئ . النسى : عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعرقوب حتى ينتهى إلى الرسغ ، وهو مقصور يكتب بالياء لأنه يقال فى تثنيته نسيان .

[المعنى] أن سبى بلغ من صفاء جوهره وحدة حده أنه إذا ما سلب على الجسم أيا كان نوعه لم يتركه إلا مبانا قطعتين بعد أن كان جسدا واحدا .

وأما فرسى فصفته أنه مشرف الأقطار أعنى مرتفع الجوانب قوى العضدين متين القوائم ، غليظ اللحم والأضلاع ، واسع الصدر ضخمة ، مفتول الذراعين قوى النسى وهو العرق الرابط الفخذ بالقوائم ، يكنى بذلك عن تكامل قوته الجسمية ، وتماسك مفاصله القوية ، حسبا يتطلبه الفارس النادر ، والصنديد المغامر .

قَرِيبُ مَا يَنْ الْقَطَاةَ وَالْمَطَا بَعِيدُ مَا يَنْ الْقَذَالَ وَالصَّلَا^(١)
سَامِي التَّلِيلِ فِي دَسِيعٍ مُفْعَمٍ رَحْبُ اللَّبَانِ فِي أَمِينَاتِ الْعُجْبَى^(٢)

(١) القطاة: مكان الردف، وقيل بعد الردف. المطا: هو الظهر كله سمي بذلك لأنه يمتد على أى يركب. القذال: من رأس الفرس معقد عذاره أى حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين. العذار: اللجام وجمعه عذر. الصلا: العجز وهو آخر الوركين.

(٢) السامى: العالى المرتفع. التليل: هو العنق. الدسيع: مغرز العنق فى الظهر. الدسيعة بالناء فى غير هذا الموضوع: مائدة الرجل الكريم، ومنه قولهم فلان ضخم الدسيعة، أى كثير طعام المائدة. المفعم: الممتلئ، يقال أفعمت الإناث إذا ملأته. الرحب: الواسع، ومنه سميت الرحبة لاتساعها. اللبان: الصدر. الأمينات: القويات الصالحات الصلاب واحدها أمينة. العجى: جمع عجاية، وهى عصب مركب فيها فصوص كأمثال فصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة وهى من عظام كأمثال الكعاب إذا جاع أحدهم دفنها بين نهرين فأكلها.

[المعنى] أن ردفه ليس غليظا بحيث يباعد بين ظهره وبين ما يلي ردفه وذلك كناية عن خفة عدوه لعدم ما يشقله فى أسفله. وتقول وصاف الدواب: إن الثور القوى ما كان رقيق الردف مسحوبه إلى أسفل ويعرف عند العامة بالأسلت، والعرب تسمى المرأة التى هى كذلك زلاء قال الشاعر:

والنغليون بثس الفحل فخلهم فلا وأمههم زلاء منطيق

يريد لا عجيزة لها نحيفة هزيلة تتمنطق بما يوهم أن لها ردفًا وليست بذلك، وكبر العجيزة إذا اتصلت بنحصر نحيل من محاسن النساء ومناقص ذكور بنى الإنسان والبهائم. ثم هذا الفرس مع رقة ردفه وقصره طويل

رُكِّنَ فِي حَوَاشِبٍ مُكْتَنَةٍ إِلَى نُسُورٍ مِثْلَ مَلْفُوظِ النَّوَى^(١)
يَرْضَخُ بِالْيَيْدِ الْخَصَى فَإِنْ رَقَى إِلَى الرَّبِّى أَوْزَى بِهَا نَارَ الْحَبَا^(٢)

الظهر، وكفى عن هذا بعيد معقد اللجام وهو الرأس عن العجز وهو الردف. والفرس إذا طال ظهره اتسع خطوه، وتتابع عدوه، وقل إذا كر أو فر أن يدرك راكبه. ثم هو سأمى التليل أى على العنق الموصول بأعلى الصدر الرحب فى لحم مكتنز. ركب هذا الصدر الواسع على عصب سليم قوى ارتبط برسخ هذا الجواد القوى سلالة الصافات الجياد.

(١) قوله: ركن: يعنى العجى ويجوز أن يكون القوائم. الحواشب: جمع حوشب وهو عظم فى باطن الحافر، وقيل هو عظم بين الرسغ والحافر مكتنة: أى مستورة من كئنت الشئ. إذا سترته، وقيل مكتنة مكتنزة ويروى مكينة أى غايظة. النسور: جمع نسر، وهى لحة ناتئة يابسة فى باطن الحافر شبهها النواة لصلابتها. وملفوظ النوى: ما لفظ منه أى رمى به وطرح، يقال لفظت الشئ إذا رميت به، ولفظه البحر يلفظه إذا طرحه ورمى به إلى الساحل. والنوى: جمع نواة وهى ما فى داخل التمرة من العظم الذى فيها.

(٢) يرضخ: يكسر والرضخ: الكسر. اليد جمع يداء: وهى القفر. رقى: ارتفع. الربى: جمع ربوة، وهى الكدى. أورى: أوقد بها، والمستقبل يورى قال الله عز وجل: (أفرأيتم النار التى توروون) أى توقدون وقال (فالموريات قدحاً) أى فالموقدات قدحاً. الحبا: دابة تضىء بالليل كأشد ما يكون من النار، واسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر، قال النابغة:

تقد السلوقى المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب

يُدِيرُ إِغْلِيظَيْنِ فِي مَلْمُومَةٍ إِلَى لَمُوحَيْنِ بِالْحَاطِظِ اللَّائِي^(١)
مُدَاخِلُ الْخَلْقِ رَحِيبٌ شَجَرُهُ مُخْلَوْلُ الصَّهْوَةِ تَمْسُودُ وَأَي^(٢)

[المعنى] أن قوائم الفرس أو العجى في أسفلها بنيت وقامت على عظام صلبة قوية في باطن كل حافر ، ومتى قوى الأساس ثبت البنى عليه ، وقد كسيت هذه العظام من الأسفل بلحم يبس وصلب حتى كأنه النوى الملفوظ من التمر بعد أخذ ما أحاط به ، ثم قال وقد بلغ من قوته العصبية ، وثقل تراكيبه الجسمية ، أنه حينما يعدو في البيداء يتكسر الحصى تحت حوافره من شدة وقعها عليه ، فاذا حول إلى ارتقاء الرنى والامكنة الصخرية العالية أورى بوقع حوافره على الصخر الصلد نارا تشبه نار الجاحب - بالغ في صلابه حوافره حتى جعلها كالحديد إذا ضرب به الصخر اليابس قدح وتطاير منه الشرر .

(١) الإغليظ : وعاء ثمر المرخ شبه أذن الفرس بذلك ، وهو شبيه بقشور الباقل الرطب تشبه به آذان الخيل . الملمومة : الهامة المجتمعة المستوية . اللموحين : العينان . الحافظ : النظرات ، وهي جمع لحظة . اللأى : الثور الوحشى والأثنى لآة على وزن لعاة .

(٢) مداخل الخلق : مجموع الخلق والرحيب الواسع . الشجر : بالشين المعجمة والجيم والراء مجتمع عظم اللحيين ، وقال أبو بكر الزيدى . الشجر مخرج الفم : المخلوق . الأملس . الصهوة : من الفرس موضع السرج . الممسود : المفتول . الوأى : الصلب الشديد ، وهو أيضا السريع من الخيل .

[المعنى] يدير أذنيه الشبيهتين بغلاف ثمر المرخ في رأس مجتمعة الأجزاء مستوية الخلق بهما عينان براقتان واسعتان كعيني ذكر البقر الوحشى ، ثم أكد اجتماع أجزاء رأسه بصريح قوله : مداخل الخلق . وربما فهم منه

لَا صَكَكَ يَشِينُهُ وَلَا فَجَا وَلَا دَخِيسٌ وَاهِنٌ وَلَا شَطَاً^(١)
يَجْرِي فَتَكْبُو الرِّيحُ فِي غَايَاتِهِ حَسْرَى تَلُوذُ يَجْرَائِمِ السَّحَا^(٢)

صغر فمه فلا يدل على ضخامة خلقه ، فقال لدفع هذا : رحيب شجره ، أى واسع فمه ، ناعم ظهره أماراة توفر صحته واعتدال مزاجه وكمال ربه وشعبه ثم هو مقتوله وشديده لا يشعر للراكب عليه بثقل مهما زاد وزنه ، فكيف بالشجاع المعتدل فى الجسم مقتول الأعصاب !

(١) الصكك : احتكاك العرقوبين أحدهما بالآخر ، وقيل هو اصطكاك الركبتين . يشينه : يعيبه ، الفجا : تباعد ما بين العرقوبين كثيراً ، وهو الفجع أيضاً ، والفجا أيضاً : تشقق العصب وانتشاره لفساده وهو عيب . الدخيس : تراكم اللحم على حافر الفرس ، وقيل الدخيس جمع يصيب الفرس فى مشاش حافره . الواهن : الضعيف يقال وهن الشيء إذا ضعف ، ومنه قول الله عز وجل : (فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا) وقال (وهن العظم منى) أى ضعف . الشطا : عظم لاصق بالذراع ، وقيل الشطا انشقاق العصب .

(٢) قوله فتكبو : أى فتعثر لوجهها لسبق الفرس إياها ، وإنما هو مثل الغايات : وهى منتهى جريه . حسرى : أى منكشفة ، قال الله عز وجل : (خاسئاً وهو حسير) تلوذ : أى تلجأ . الجرائم : جمع جرثومة وهو التراب الذى يجتمع فى أصول الشجر ، والجرائم أيضاً : الأصول واحدها جرثومة . السحا : ضرب من الشجر .

[المعنى] أن هذا الجواد لا يعيبه ما يعيب كثيراً من الخيل ، ثم فصل ذلك تفصيل خبير بصفات كرائم الجياد وخسيسها ، فقال : ليس به إذا تابع جريه صكك ناشئ من ضعف الأعصاب يجعل أحد العرقوبين يصطاك

لَوَاعْتَسَفْتَ الْأَرْضَ فَوْقَ مَثْنِهِ يَجُوبُهَا مَا خِفْتَ أَنْ يَشْكُوا لَوْجَى^(١)
تَظَنُّهُ وَهُوَ يُرَى مُحْتَجِبًا مَنِ الْعُيُونِ إِنْ دَأَى أَوْ إِنْ رَدَى^(٢)

بالآخر فيؤله ، أو يدميه ويتعب راكبه باضطرابه حينئذ ، وليس به عيب الفجا ، وهو تباعد العرقوين عن بعضهما كثيرا لا عوجاج عراه في صغره يشبه تكسيح الطفل ، وليس به ضعف الحوافر لوجع أصابها في مشاشها ، ولا عيب الشطا وهو تشقق العصب الدال على وهن الجواد ، بل هو كفرس النهر المسمى بالكراع تتصل أجزاؤه ، وينزن قوامه وقوائمه دون اختلال ، أو مرض يضعفه ، حتى إذا جرى تأخر عنه الريح العاصف دون أن يدرك غاية شوطه ، متحسرا لا نذا بما تراكم حول الشجر من تراب ، فيثيره ويسفيه ، لعمل له حركة غير عادية ، أمانة المسبوق المخذول .

(١) قوله : لواعتسفت الأرض : أى قطعها باعتساف منك ، والاعتساف ضد الرفق وهو المشقة . مثته : ظهره . يجوبها : يقطعها ويخرقها ومنه قول الله عز وجل : (وثمود الذين جابوا الصخر بالوادى) . الوجى : أن يبلغ الوجدع إلى باطن الرسغ .

(٢) دأى : أى جرى . وكذلك ردى ، والدأى والردى : ضرب من العدو ، يقال دأى بدأى دأيا ، وردى يردى رديا إذا جرى جريا سريعا .

[المعنى] لو أنك كنت الراكب عليه حين يعدو ، ولم تشفق به ، وكلفته فوق طاقة غيره في قطع الأرض كإرادة جبار ، لما خفت عليه أن يشكو ضعف ساقيه ، ولا أن يكل له عضد ، على أنه إن استشاط عدوا فدأى أو ردى انقضض في فضاء الوادى كالمود صخر حطه السيل من عل ، تظنه لشدة دأيه ورديه محجبا عن عيون النظارة ، مستورا عن من كانوا يرونه حين ابتدأ المسير كقطاة الوادى تقف على غصن فما هى إلا لمحة وتغيب .

إِذَا أَجْتَهَدْتَ نَظْرًا فِي إِثْرِهِ قُلْتَ سَنَا أَوْ مَضَ أَوْ بَرَقَ خَفَاً^(١)
كَأَنَّما الْجُوزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبْهَتِهِ إِذَا بَدَأَ^(٢)
هُمَا عِتَادِي الْكَافِيَانِ فَقَدْ مَنَ أَعْدَدْتُهُ فَلَيْنَا عَنِّي مَنَ نَأَى^(٣)

(١) السنا : مقصوراً الضوء قال الله جل ذكره : (يكاد سنا برفقه يذهب بالابصار) . اومض : أضاء أى لمع لمعاناً خفيفاً يقال فى تصريفه : يومض إيماضاً ، فالوار فيه أصلية . الحفو : لمع البرق فى نواحي الغيم يقال : خفا البرق يخفو خفواً .

(٢) الجوزاء : نجم معروف وهو التوأمان . الأرساغ : جمع رسخ وهو مفصل ما بين الحافر والوظيف من كل دابة . النجم هو الثريا ، يصف غرة الفرس وتحجيلة . بدا : ظهر وهو غير مهموز .

[المعنى] إذا أتبعته نظرك وهو يطير كقطاة الصحراء ، أو غزال شرده صياده ما خلته إلا ضوءاً لمع ثم ذهب ، أو برقاً لمع فى جوانب غيم ثم غاب . ثم وصف غرته فى بياض ناصيته وتحجيلة فى بياض مقدم قوائمه من الأسفل مما يلى الحوافر بقوله : كأنك ترى الثريا لامعة مضيئة فى أرساغه ، والنجم الزاهر ، ذا السنا الباهر ، فى جبهته إذا بدا لك ، وأقبل بوجهه عليك ، وهذه الغرة وهذا التحجيل فى الأربعة قوائم ، أو فى اثنين منها على التعاكس مما يتفامل به مقتنو الخيل فى جلب الخير به ، والسعادة بركوبه ، وربما شهد له حديث : « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » .

(٣) العتاد : ما يتخذ عدة للدهر ، ويكون بحضرة من يتخذ يقال عتد الشئ يعتد فهو عتيد إذا حضر قال الله جل ذكره : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) فليناً : أى فليبعد من نأى إذا بعد .

فَإِنْ سَمِعْتَ بِرَحَى مَنصُوبَةٍ لِلْحَرْبِ فَأَعْلَمْ أَنَّي قُطْبُ الرَّحَى ^(١)
وَإِنْ رَأَيْتَ نَارَ حَرْبٍ تَلْتَظِي فَأَعْلَمْ بِأَنِّي مُسْعِرٌ ذَاكَ اللَّظَى ^(٢)
خَيْرُ النُّفُوسِ السَّائِلَاتُ جَهْرَةً عَلَى ظُبَاتِ الْمُرْهَفَاتِ وَالْقَنَا ^(٣)

(١) قوله برحى منصوبة : يريد برحى الحرب ، وهو موضع استدارة أهلها إذا تعاركوا ، وقد يراد بالرحى التي يطحن عليها . القطب : الحديد أو الخشب التي تدور عليها وأنشد :

فدرتا كما دارت على قطبها الرحى ودارت على هام الرجال الصفائح
[المعنى] سبى المذكور فيما مضى ، وفرسى الموصوف هنا هما عدتي في صولتي ، وعتادي أي أداتي في نيل بغيتي ، اللذان عوضاني فقد من كنت أعدده لزمني ، وأدخرته لعاديات دهرى ، وما دامامعى وتحت نفوذى فليبعد عني من أراد البعد ، فلست مباليا بنأيه ، ولا مهتما بتجافيه ، فاني بهما قوى غنى غير محتاج لناصر أو معين ، فإذا سمعت بحرب تدور رحاها فاعرف أنني عميدها ، ومحور دورانها .

(٢) تلتظي : تشتعل . مسعر : أي موقد . اللظى : اللهب .

(٣) جهرة : عيانا . الظبات : جمع ظبية وهي حد السيف . المرهفات : السيوف الرقاق واحدها مرهف . القنا : الرماح واحدها قناة .

[المعنى] إن سمعت أن نار الحرب تطاير شررها ، وحمى وطيسها ، وسمعت ألسنة لها الزرقاء فأعلم أنني المشعل لها ، المزكى للظاها ، وإن خير القبائل السامية في المجد ، العالية الهمة ، القوية العزيمة من سالت دماؤها الغالية على ظبات السيوف وسانان الرماح ، إبان الكفاح ، دون الرضا بخنوع مذل ، أو عيش مقل ، والظبات بضم الظاء جمع ظبية كظبي . قال في المنجد : الظبة : حد السيف أو السنان ونحوهما جمع ظبات وظبي وظيون وظبون وأظب .

إِنَّ الْعِرَاقَ لَمْ أَفَارِقْ أَهْلَهُ عَنْ شَتَّانٍ صَدَنِي وَلَا قَلِيٍّ^(١)
وَلَا أَطْبَى عَيْنِي مُذْ فَارَقْتُهُمْ شَيْ يَرْوِقُ الْعَيْنَ مِنْ هَذَا الْوَرَى^(٢)
هُمْ السَّنَاخِيبُ الْمُنِيفَاتُ الذَّرَى وَالنَّاسُ أَدْحَالُ سِوَاهُمْ وَهُوَ^(٣)

والبیت الثانی بمعنى قول السمويل بن عاديه .

ومامات منا سيد حتف أنفه ولا ظل منا حيث كان قتيل
يريد : مامات منا شريف على النسب سامى الحسب على فراشه بل فى
ميدان القتال ، وساحة النزال .

(١) العراق : بلد وأصله فى كلام العرب شاطئ البحر ، وسميت العراق
عراقاً لأنها شاطئ دجلة والفرات . لم أفارق : لم أزايل . أهله : سكانه . عن
شَتَّانٍ : أى بغض يقال شتاً وشتان وشتناً . صدني : منعتى وصرفتى وبرى
عن شتاً أصدني يقال . صده وأصده بمعنى واحد قال الشاعر :

أصده لشاخص ذى القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
القلبي : البغض .

(٢) ولا أطبى : أى ولا دعا ولا استمال . يروق : يعجب . الورى : الخلق
[المعنى] لم أرتحل من العراق العربى إلى أية ناحية أخرى لبغض يبنى
وبين أهله يصرفنى عن المقام بينهم ، وإنما هم خاصة أجباني ، وخلاصة
أصدقائي ، وأس هنائي ، وملء عيني بحيث لم يرق عندها منظر أحد سواهم ،
ولا أعجبها خلال من عداهم .

(٣) السناخيب : أطراف الجبال واحدها شخوب . المنيفات : المرتفعات
الطوال وهى الشواوق ، والشواوق جمع شاهق وما شقق من الجبال أى طال .
الذرى : جمع ذروة وهى أعالي الجبال . الأدحال : جمع دحل وهى الحفير
الغامض من الأرض يتسع أسفله ويضيق أعلاه ، وإنما مدحهم بالرفعة على
سائر الناس وأن الناس كلهم تحتهم .

هُمْ الْبُحُورُ زَاخِرٌ آذِيهَا وَالنَّاسُ ضَحَضَاحٌ ثِعَابٌ وَأَضَى^(١)
إِنْ كُنْتُ أَبْصَرْتُ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ مِثْلًا فَأَغْضَيْتُ عَلَى وَخْزِ السَّفَا^(٢)

(١) الزاخرات : جمع زاخر والزاخر : الماء الكثير الفائض يقال زخر البحر إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه . الآذى : الموج جمعه أواذى . الضحضاح : الماء القليل لا عمق له يكون إلى الكعبين وأنصاف الساقين . الثعاب : جمع ثعب وهو الموضع المطمئن في أعلى الجبل ليستنقع فيه ماء المطر . الأضى : جمع أضاة وهى الغدران الصغار ، يعنى أنهم البحور والناس ضحضاح أى ماء قليل .

[المعنى] أن خاصة أهل العراق العربي المستوجبين ثنائى إذا قورنوا بأهل الدنيا وما درج من بنى الانسان على وجه البسيطة كانوا فى سمر المكاثة وعلو الشرف كندى الجبال الشاخات وغيرهم فى التزول كالهوى والحفائر ، والهوى : بضم الهاء وفتح الواو جمع هوة بضم الهاء وفتح الواو وتشديدها ترادف الحفرة السحيقة فى الأرض ، كما ترادف الدحل ، والعائور ومنه قول الشاعر :

بل بلة مرهوبة العائور تنازع الرياح سحق المور
أى لا تسمح للريج بالعبث بغبارها لعمق عائورها . ثم قال وهم فى سعة الصدور والسماحة بلاحد محدود ولا سبب موجب كالبحور الزاخرة المملوءة باللؤلؤ والمرجان واللحم الطرى ، لا ترد يد صائد ، ولا تنظر شكر نائل ، وغيرهم كالحل والضحضاح والأضى ، يدرك الناظر غوره . ولا يتلمس بره وخيره ، فهم كثر ، وغيرهم قل .

(٢) أغضيت : صبرت على المكروه ، والإغضاء الصبر على المكروه . الوخز : طعن غير نافذ ، وقيل الوخز الطعن بسرعة . وقيل الوخز : الشوك . السفا : شوك البهي .

حَاشَا الْأَمِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ أَوْفَدَا عَلَى ظِلٍّ مِنْ نَعِيمٍ قَدْ ضَفَا^(١)
هُمَا اللَّذَانِ اثْبَتَا لِي أَمَلًا قَدْ وَقَفَ الْيَأْسُ بِهِ عَلَى شَفَا^(٢)
تَلَافِيَا الْعَيْشَ الَّذِي رَنَّقَهُ صَرَفُ الزَّمَانِ فَاسْتَسَاغَ وَصَفَا^(٣)

(١) قوله أوفدا أى أرسلنا يقال : أوفد فلان فلانا إذا أرسله . ضفا : أى كثر من قولهم ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال ، ونعم ضافية : أى كثيرة .
[المعنى] إن كنت أبصرت لأهل العراق العربى موضع ثنائى ندا ومثلا فصبرت على فراقهم على أحر من جمر الغضى ووخز السفا . وتأنيب الضمير ، فأنى لم أرفى الدنيا على اتساعها وكثرة من فيها إلا الأميرين اللذين أسبلا على من ظل نعيمها ما جعلنى فى بحبوبة الحياة سعيدا ، بمتعة برغد العيش وهناءة البلبال .

(٢) قوله أثبتا لى أملا : أى أبقيا لى وأصلا . وأملا أى مراداً ورجاء .
اليأس : انقطاع الرجاء . شفا الشئ : طرفه وحرفه قال الله جل ذكره :
(على شفا جرف هار) .

(٣) تلافيا : تداركا ، وقيل تلافيا أتياه على قصد . رنقه : كدره ، والرنق الماء الكدر . صرف الزمان : قلبه من حال إلى حال . استساغ : سلس فى الحلق وطاب تقول : هذا شراب سائغ أى سهل طيب .

[المعنى] إن الأميرين بما أسبغاه على من نعم ، وخلعاه على من حلل السعادة والشرف ، حققا لى أملا فى الحياة ، ورجاء فى المتعة بها بعد أن بلغ اليأس عندى منهما مبلغه ، وهما اللذان أدركا عيشى الذى كدرته صروف الليالى وحدثان الأيام فبدلاه سائغا صافيا لذيذا .

وَأَجْرِيَا مَاءَ الْحَيَا لِي رَغْدًا فَاهْتَزَّ غُصْنِي بَعْدَ مَا كَانَ ذَوِي^(١)
هُمَا اللَّذَانِ سَمَوَا بِنَاطِرِي مِنْ بَعْدِ إِغْضَائِي عَلَى لَذَعِ الْقَذَى^(٢)
هُمَا اللَّذَانِ عَمَرَا لِي جَانِبًا مِنْ الرَّجَاءِ كَانَ قِدَمًا قَدْ عَفَا^(٣)

(١) الحيا: مقصور الغيث والخصب ، وإنما سمي حيا لأن الله يحى به الأرض. الرغد: السعة في العيش قال الله عز وجل: (وكلا منها رغداً حيث شئتما) فاهتز غصني : أى طال يقال اهتز النبات إذا طال واهتزت الأرض إذا أنبتت ، وأصل الهز: التحريك فكأنه يريد تحريك ليمتد ويطول . الغصن: ما تشعب من ساق الشجر وتفرع ، والجمع غصون وأغصان . ذوى: ذبل .
(٢) سموا: أى رفعا وقوله . بناطرى: يعنى أراد ارفع ناظرى فزاد الباء للوزن وقوله : من بعد إغضائي : أى من بعد ما قاربت جفونى لأطبقتها على لذع القذى : واللذع الحرقه . يقال لذعته النار تلذعه إذا أحرقتة ، والقذى ما يقع فى العين ، يقال قذت عينه تقذى قذيا إذا ألقت القذى .
[المعنى] أنهما بغزير إنعامهما على جعل الماء يجرى فى أرض حياتى عذبا غزيرا حتى أخضبت تربتها فأخضر فيها قوام جسمى ، وترعرع ونما بعد الذبول ، وهما اللذان رفعا رأسى صعدا إلى السماء شعورا بالنعمة وإدراكا لسمو الشرف وعلو المكانة ، من بعد أن كنت مطأطأ الرأس مغمض الأجفان على لذع قذى العينين ، والمقصود المعنى الكنائى أى بعد أن كابدت أثر الذلة وألم الفقر عيانا .

(٣) قوله : عمرا : أى أصلحا ، يقال عمر فلان منزله إذا أصلحه وسكنه ويروى بالغين المعجمة أى غطيا من قولهم غمره الماء أى غطاه ، ومعناه سترا ما تكشف من جوانبى . الجانب : الناحية ، وجمعه جوانب . الرجا . معدود الأمل . قدما : أى قديماً . عفا : أى درس .

وَقَلَدَانِي مِثْلَهُ لَوْ قُرِئَتْ بِشُكْرِي أَهْلَ الْأَرْضِ عَنِّي مَا وَفَى^(١)
بِالْعَشْرِ مِنْ مِيعَاثِهَا وَكَانَ كَالْحَسَنَةِ فِي آذِيٍّ بِخَيْرٍ قَدْ طَمَى^(٢)
إِنْ ابْنُ مِيكَالَ الْأَمِيرِ اتَّاشَنِي مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ كَالشَّيْءِ اللَّقَى^(٣)

(١) وقلداني منه أى جعلها فى عنقى : وهو موضع القلادة ، ومنه : أى
نعمة وجمعها منن . قرنت : أى عدلت وقيست . قوله ما وفى : أى ما قام بها
ولا عد لها شكرهم .

[المعنى] أنهما بعد أن حققا لى أملا فى الحياة عمرا لى جانباً كبيراً بحسن
الرجاء وقد كان اندرس وتخرّب . وقلداني فى عنقى والمراد خلدا فى سويداء
قلبى ذكر أن منتهما على ، وعظيم إحسانهما لى ، بحيث لو وزنت هذه المنّة
بشكر أهل الدنيا بحسب ما وفى بقدرها فضلا عن شكرى المفرد

(٢) الحسوة : الجرعة بما يشرب . الآذى : الموج . طمى : امتلا وارتفع .
(٣) ابن ميكال : هو عبد الله بن محمد بن ميكال اسم أعجمى لا ينصرف فى
المعرفة وينصرف فى التكررة ، وهو فارسى من أمراء فارس ، ومعنى اتتاشنى :
نعمنى وقيل معناه تناولنى وأخذنى مقرباً لىه والعرب تقول الظبية تنوش
الأراك وتتناشه أى تتناوله بفمها قال الله تبارك وتعالى : (وأنى لهم التناوش
من مكان بعيد) أى وكيف لهم التناوش من مكان بعد ، ونشت الرجل نوشاً
أنلته خيراً . الأراك : شجر يستاك بعوده قال الشاعر :

إذا هى لم تستك بعود أراكه تنخل واستاك به عود أسحل
والأسحل أيضاً شجر يستاك بعوده . اللقى : الشئ المطروح الملقى
يقال رجل لقى ، وقوم ألقاء ، وكل ما يلقى وي طرح فهو لقى .

[المعنى] أن منتهما لو ووزيت بشكران أهل الأرض بالنياحة عنى ما عدل
عشر عشرها أى جزءاً من عشرة أجزاء مقسم إليها عشر هذه المنّة ، بل كان

وَمَدَّ ضَبْعِي أَبُو الْعَبَّاسِ مِنْ
ذَلِكَ الَّذِي مَا زَالَ يَسْمُو لِلْعَلَا
بَعْدَ انْتِخَابِ الدَّرَجِ وَالْبَاعِ الْوَزَى ^(١)
بِفِعْلِهِ حَتَّى عَلَا فَوْقَ الْعَلَا ^(٢)
لَوْ كَانَ يَرْزُقُ أَحَدٌ بِجُودِهِ
وَنَجْدِهِ إِلَى السَّمَاءِ لَا رَتَقَ ^(٣)

شكر جميع الخليفة بالنسبة لها كالجرعة من موج بحر زاخر امتلاً بالماء وارتفع، ثم قال : إن ابن ميكال وهو أحد الأميرين الممدوحين له وأبدل منه الأمير إعلانا بلقبه المشرف انتاشنى أى انتشلى والتقطنى من الحضيض إلى العلا ، من بعد ما كنت كالشئ الذىلقى المطروح لا يعتنى بشأنه .

(١) ضبعى : عضدى ، والضع وسط العضد . أبو العباس : هو إسماعيل ابن عبد الله بن ميكال ، فدح الأب والابن . الذرع : والذراع واحد . الباع : القامة ومنه الحديث الذى جاء عن زمان الطوفان فإن الماء سار على وجه الأرض سبعين باعا ، وعلى رؤوس الجبال سبعين ذراعاً . الوزى : القصير يقال رجل وزى وامرأة وزاة .

(٢) يسمو : يرتفع .

[المعنى] وقد بسط عضدى ، وقوى ساعدى ، وشد إزرى ولد الأمير المكنى بأبى العباس بعد أن التوى انكاشا ، وقصر انزواء وتأثرا من عادات الزمان ونواب الحداث ، وما كانا وازيين طبيعة . ذلك الفاضل الممدوح إسماعيل بن عبد الله بن ميكال الأمير ما زال يسمو للعلا بكال فعله حتى سما وارتفع فوق مكانة العلا والمجد ، وفى هذا من الغلو المقبول وبدع الخيال ما فيه .

(٣) يرقى : يطلع ويرتفع . الجود : الكرم . المجد : الشرف . لارتقى : لارتفع . الندى : الكرم .

مَا إِنْ أَتَى بَحْرَ نَدَاهُ مُعْتَفٍ عَلَى أَوَارَى عِلْمٍ إِلَّا أُرْتَوَى^(١)
نَفْسِي الْفِدَاءَ لِأَمِيرِي وَمَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ لِأَمِيرِي الْفِدَا^(٢)
لَا زَالَ شُكْرِي لَهُمَا مُوَاصِلًا لَفْظِي أَوْ يَعْتَاقَنِي صَرْفُ الْمَنَى^(٣)

(١) المعنى: الطالب للرفد وقوله: أوارى: أى حرارة. والأوار حرارة الشمس والنار فأوار للتذكير وأوارى للتأنيث. العلم: الجبل الصغير وجمعه أعلام. ارتوى: ثمل وشبع هكذا فى الأصل والرواية الصحيحة يشكو أوارى عيم الخ والعيم العطش.

(٢) الفداء: مكسور الأول بمدود، فاذا فتح أوله قصر، ومعنى الفداء الوقاية تقول: فديتك بنفسى: أى جعلتها فداك أى وقاية لك وعوضاً منك. [المعنى] لو كان الرقى إلى السماء ينال لبنى الإنسان بالكرم والشرف وعلو الهمة لارتقى إليها إسماعيل الممدوح، فقد بلغ فى الكرم منتهاه، وفى المجد والشرف مداه، حتى أن من ورد منه لعطائه. وبحر نواله، طالباً للرفد والكرم يؤوب ثملاً منتشياً بكثرة ما نال، كالمرتوى المثالج الصدر بما أطفأ حر جواه، وأزال عصب صداه، بعد أن علا جبلاً صغيراً فأعطشته الهاجرة بحرهما، ولفحته الشمس الملتبهة بوجهها وسمومها، ومعنى معتف على أوارى علم: طالب الرى والغوث والنجدة والتغلب على حر شمس لافحه فاجأته فعصبت حلقة ولسانه على علم صغير لا يطاق حره والمعنى على هذا أبلغ مما كتب فى تصحيح رواية البيت لما فى هذا من المبالغة والشعور بالنعمة ما ليس فى معنى التصحيح المذكور والله أعلم.

(٣) أو يعتاقنى: أى يصرفنى وإذا أردت أمراً فصرفك عنه صارف قلت عاقنى عن الأمر الذى أردت عاتق، ونصب أو يعتاقنى لأن المراد حتى يعتاقنى فانتصب بحتى. الصرف: التقلب. المنى: بفتح الميم مقصور المقدر بقول منى الله لك ما يسرك أى قدر الله لك ما يسرك، قال الشاعر:

إِنِ الْآلَىٰ فَارَقْتُ مِنْ غَيْرِ قَلِيٍّ مَّا زَاغَ قَلْبِي عَنْهُمْ وَمَا هَفَا^(١)
لَكِنَّ لِي عَزْمًا إِذَا أَمْتَطَيْتُهُ لِبَنِيهِمُ الْخَطْبُ فَآهٌ فَأَنْفَايَ^(٢)
وَلَوْ أَشَاءَ ضَمَّ قُطْرِيهِ الصَّبَا عَلَىٰ فِي ظِلِّي نَعِيمٍ وَغْنَى^(٣)

ولا تقول لشيء سوف أفعله حتى تبين ما ينمي لك الماني
أى حتى تعرف ما يقدر لك المقدر .

(١) زعم قوم من النحويين أن الآلى جمع لا واحد له من لفظه ، وزعم قوم أنه اسم للجمع بمنزلة قولهم نفر ورهط . من غير قلى : من غير بغض . مازاغ : ما مال . ولا هفا : أى ولازل ، ويروى ولا هوى أى ولا سقط ، والهفوة : الزلة يقال كانت من فلان هفوة أى زلة وسقطة .

[المعنى] ما دمت حيا فلسانى يلهم بالثناء عليهما عطرا ، والشكر لهما مستمرا ، حتى اللفظ الأخير من حياتى . فلا يمكسك لسانى عن مواصلة شكرهما إلا نزول القضاء المبرم ، والموت المحتم ، إن هؤلاء الرهط موضع إجلالى ، وحل اعتبارى الذين ما نأيت عنهم إلا على الوداد من غير بغض وقلى ، لم يمل قلى إلى سواهم ، ولا هفا فى زلة لا تغفر إذا هو ينسأهم ، بل ما زال ولن يزال يهواهم ، حافظا لهم الصنع الجليل ، والخير الجزيل .

(٢) العزم : العقد على فعل الأمر وربط النية على إمضائه . امتطيته : ركبته وجعلته مطية . المهيم : من الأمور المغلق : آه : شقه . فأنفأى : أى فأنشق . والفأى : الشق فى الجبل .

(٣) ضم قطريه : أى جمع ناحيته ، ويروى مد قطريه ، ومعناه نشر . وقطراه : جانباه . القطر : الجانب وجمعه أقطار . الصبا : الفتوة واللهو . الظل : النعيم ما امتد عليه منه . النعيم : ضد البؤس ، وهو طيب العيش وسعته . الغنى : ضد الفقر ، وهو وجود المال والاستغناء به .

وَلَا عِبْتَنِي غَادَةً وَهَنَانَةً تَضْنِي وَفِي تَرَشَافِهَا بُرءُ الضَّنَى ^(١)
تَقْرَى بِسَيْفٍ لَحْظَهَا إِنْ نَظَرْتَ نَظْرَةً غَضْبِي مِنْكَ أَثْنَاءَ الْحَشَا ^(٢)

[المعنى] إني إذا ركبت متن جواد عزمي لم يصدني عن مضاء ما عزمت عليه صاد مهما صعب المراد وعز المنال ، ولو أشاء فتق الأمر المهيم على الكثير ، المتعاصي على الجمل الغفير ، لضممت فتوتى جانبيه في عزة نادرة ، وسعادة متوافرة .

(١) قوله : ولا عبتني : هو من اللعب ، ومعناه مازحتني . الغادة : الفتاة الناعمة والرجل أغيا . والأغيد الوسنان المائل العنق ، ويقال تغايد فلان في مشيه إذا مال . الوهنانة : الثقلة القيام والقعود ، وقيل الوهنانة الطيبة الحديث تضنى : أى تسقم ، والضنى الهزال من المرض . الترشاف : قيل الشفتين ، وهو فوق المص ، وهو مص الماء أيضاً . برء الضنى : ذهاب السقم أى هي تضى ، وفي تقييلها البرء من السقم .

(٢) تقرأ : تقطع . اللحظ : النظر . غضبي : مغتاظة . وأثناء الحشا : ما اثنتى منها أى ما انعطف : الحشا : الكبد وما اتصل بها .

[المعنى] وحين أقوم باقتحام الأمر الصعب فأذله في عزة نادرة المثال تلاطفني وتداعبنى غادة حسناء ، وميساً هيفاء ، تضنى وتسقم من تقرب منها فأت عنه ودلت عليه ، وفي تقييل شفتيها الرقيقتين الحمراءين ولو مرة برء ضناه وشفاء سقامه ، وإنما اختارها وهنانة وهى الثقلة القيام والقعود لثقل ردفها مع نحول خصرها حتى إذا أسل خدها ، واعتدل قدها ، مع هذا فهى فاتنة وإلى ما أشار إليه يصرح قول القائل متغزلاً في فاتنته :

لها ردف تعلق في ضعيف وهذا الردف لى ولها ظلوم
يحيرنى إذا فكرت فيه ويتبعها إذا رامت تقوم

فِي خَدَّهَا رَوْضٌ مِّنَ الْوَرْدِ عَلَى النَّسْرِينَ بِالْأَلْحَاطِ مِنْهَا يُجْتَنَى^(١)
لَوْ نَاجَتْ الْأَعْصَمَ لَأَنْحَطَّ لَهَا طَوَّعَ الْقِيَادِ مِنْ شِمَارِيخِ الذُّرَى^(٢)

ثم قال علامة الأزرد في قوة سحرها : تغرى بسيف لحظها الخ يعنى أنها تملك قتل ناظرها المفتون بها بنظرة غضب قلبى لا يظهر لرائتها العادى في وجهها عبوس، وإنما يعرفها من القاتنات من انكوى بجمهرهن ، وبات أسير الرضا والغضب أمثال عمر بن أبى ربيعة القاتل في ثرياه :

وليت الثريا في المنام ضجيعتى أفى الجنة الخضراء أم في جهنم
وإلى هذا المعنى الرمزى أشار علامة الأزرد بقوله : أثناء الحشا أى بين طياته المقروءة للعاشقين .

(١) النسرين : النور الأبيض الألاحظ : النظرات جمع لحظة . يجتنى يقتطف .

(٢) ناجت : أى تكلمت . الأعصم : هو الوعل الذى فى إحدى يديه بياض ، وربما كان البياض فيهما ، وسمى وعلا للبياض الذى فى أظلافه ، والأظلاف جمع ظلف وهو الخف الذى يكتشف رجل الظبية . لأنحط : لنزل . القياد : التذلل . الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . الذرى : أعلى : الجبال واحدها ذروة .

[المعنى] تمثل حمرة خدى هذه الغادة الناعمة البيضاء اللامعة روضة ورد بين الأبيض والأحمر القانى تفتحت براعمه ، ودان قطافه ، يجنيه من خديها مختلس النظرات إليها فى ضوء القمر ، أثناء السمر — ثم قال فى قوة تأثير كلامها : لو كلمت الوحش النافر ، والوعل وهو الأعصم الشارد ، لأصاخ إلى نداءها وأنحط من أعلى الجبال سلس القياد أسير الحديث خاضعا ذليلا . ولعل علامة الأزرد أراد معنى رمزيا حاصله : أنها لفرط جمالها وجمال الظبية هى من جنس الظباء فلو ناجت ذكر الظباء لأنس بصوتها ، ولبي نداءها . منحطا من شماريخ الجبال كالسيل وجد لجراه سيلا .

أَوْ صَابَتِ الْقَانِتَ فِي مُخْلَوِّقٍ مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلَكِ وَغَرِ الْمُرْتَقَى^(١)
أَلْهَاهُ عَنْ تَسْبِيحِهِ وَدِينِهِ تَأْنِيسُهَا حَتَّى تَرَاهُ قَدْ صَبَا^(٢)

(١) قوله : أو صابت القانت : أى وافقته ، يقال صاب السهم وأصاب إذا وقع في الرمية وصادفها ، وصاب السحاب الموضع وأصابه إذا أمطره القانت : القائم بالعبادة المطيع لله الزاهد فيما يرغب الناس فيه من الدنيا قال الله تعالى عز وجل : (كل له قانتون) أى مطيعون . المخلوق : الجبل الأملس الطويل الذى لا نبات فيه . مستصعب : أى صعب المسلك : الطريق الذى يسلك فيه أى يدخل ويمشى . المرتقى : المصعد وهو المكان الذى يرتقى إليه أى يطلع إليه . الوعر : الصعب .

(٢) ألهاه : شغله : التسبيح : التنزيه لله عز وجل وهو التبرئة من كل ذم ، وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة يقال سبحت أى صليت . دينه : أى طاعته . وتأنيسها : أنسها وحديثها وقوله : حتى تراه قد صبا : أى قد لها وفعل فعل الصبيان ، وصبا يكتب بالآلاف لأنه من ذوات الواو .

[المعنى] أن سحر حديث هذه القانتة لو أصاب الناسك المتعبد في جبل أجرد أملس لا نبات فيه مبالغه في الطاعة ، وغلوا في الزهادة ، لأنساء نسكه وتعبده وانجذب إلى قانتة الإنسان ، بعد أن نفر من كل حيوان ، ونزل من مرتقاه الصعب مقتفيا أثرها ، أسير هواها ، فتراه بعد انقطاعه عن السوى لا يأنس بسواها . والظاهر أن صبا مخفف صبا بمعنى مال وتعشق ، لا من صبا يصبر أى فعل فعل الصبيان ، يرشدك إلى هذا المعنى قوله ألهاه عن تسبيحه الخ حيث يناسبه الميل إليها والتعلق بها والله أعلم .

كَأَنَّمَا الصَّهْبَاءُ مَقْطُوبٌ بِهَا مَاءٌ جَنَى وَرْدٍ إِذَا اللَّيْلُ عَسَا (١)
يَمْتَاخُهُ رَاشِفٌ بَرْدٍ رِيْقَهَا بَيْنَ بَيَاضِ الظُّلَمِ مِنْهَا وَاللَّمَى (٢)

(١) الصهباء: الخمر سميت بذلك لصفوة لونها . المقطوب : الممزوج وكذلك المشوب بمعنى واحد . ماء جنى ورد : أى ماء جنى من الورد طريا أى قطف ، والجنى اسم ما جنى . عسا الليل : أظلم ويروى عسا بالغين المعجمة ومعناها واحد .

(٢) يمتاخه : يستقيه وقيل الممتاح الذى يغرف بيديه من أسفل البئر إذا قل الماء ، والماتح بالتاء الذى يمد الحبل فى البئر ليستقى . الراشف : المتناول الشراب بشفثيه . ريقها : لعابها . الظلم : بفتح الظاء بياض الأسنان حتى كأنها من شدة البياض يعلوها سواد . اللمى : سمرة الشفتين يقال رجل ألقى وامرأة لمياء ، واللمى أيضاً قلة اللحم والدم على اللمة والشنب ، وبرد ريقها وعدوبته [المعنى] كأنها برد ريقها وعدوبته وتأثيره فيمن يمصه من بين شفتيها الخمر مزجت بماء الورد ، يشمل برشفها متعشقه ، ويسكر من لذتها شاربه . ولأن العرب كانت تشبه بالخمر كل مالد وطاب فى جاهليتها شبه ريق الغادة بها كمادة الشعراء وإن كانت الخمر أم الخبائث مهما مزجت بالورد أو العسل ، كما قال جل شأنه : (والذى خبث لا يخرج إلا نكدا) - ثم بالغ فى انتظام لثى أسنانها البيضاء ، وقلة لحمها واتزان دمها بقوله :

يَمْتَاخُهُ الخ يعنى ينقل من حظى بلثم فيها ريقها العذب المسكر من بين أسنانها اللامعة المشرقة البياض وشفثيها الحمراء بين المظهرتين سوادا ناشئا من مخالطة البياض الناصع المشرق لحمرة شفتيها المغريتين على التقيل ، ويقرب من هذا المعنى قول الغزل :

إذا الوم أبدى لى لماها وثغرها تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامى مجرى عوالينا ومجرى السوابق

سَقَى الْعَقِيقَ فَالْحَزِيزَ فَاَلْمَلَأَ إِلَى النُّحَيْتِ فَالْقُرَيَّاتِ الدَّنَا^(١)
فَالْمَرْبِدَ الْأَعْلَى الَّذِي تَلَقَّى بِهِ مَصَارِعَ الْأَسَدِ بِالْحَاطِ الْمَهَا^(٢)
مَحَلَّ كُلِّ مُقَرَّمٍ سَمَتْ بِهِ مَا تَرُ الْآبَاءُ فِي فَرْعِ الْعَلَا^(٣)

(١) العقيق : موضع بالبصرة ، والعقيق أيضاً موضع حول مكة على أميال منها ، والعقيق قرية بالمدينة . والحزيز والملا والنحيت : مواضع بالبصرة ونواحيها ، القرى : جمع قرية مصغرة . الدنا : مادنا منها .

(٢) المربد : موضع بالبصرة وهو سوق تجتمع فيه العرب ، وكان الأخفش سعيد بن مسعدة يقول : المربد بفتح الميم وكسر الباء مثل المسجد على وزن مفعول ، مصارع الأسد : موضع سقوطها عند الموت ، وأراد بالأسد الرجال فكفى عنهم بالأسد لشجاعتهم . وأراد أنهم صرعوا بالحاط المها : أى قتلهم الحاط النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهى بقر الوحش الواحدة مهاة . فالأحاط هى الفاعلة فى المعنى ، وأحاط نظرات .

[المعنى] أن مصة عذبة صافية من ريقها البرد الذكى المسكر تكفى لرى رياض العقيق فالحزيز فاملأ وما يتصل به من رياض النحيت حتى القرى القرية منها إذا ما حظى أهلها بشئ منه على قلته فهو بلسم الشفاء لهم من كل صدى وجفاف ، كما يروى بها أهل المربد مجتمعين الذين ترى كثيراً من صناديدهم الشجعان الشهبين بالأسود صرعى بالحاط ونظرات هذه المهاة الإنة الفاتكة بسحر العيون .

(٣) المحل : الموضع الذى يحل القوم للمقام أى ينزل به القوم للإقامة . المقرم : السيد الكريم . وأصل المقرم محل الإبل ، وسمت به : أى ارتفعت به . المآثر : جمع مأثر . المصارع الحسنات والافعال الرضية . فرع كل شئ : أعلاه . ومنه فرعت الجبل إذا علوته ، وفروع الشجرة أعلاى أغصانها

مِنَ الْآلِى جَوْهَرُهُمْ إِذَا اعْتَزَوْا مِنْ جَوْهَرٍ مِنْهُ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى^(١)
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا جَنَّ الدَّجَى وَمَا جَرَتْ فِي فَلَكِ شَمْسُ الضُّحَى^(٢)
جَوْنٌ أَعَارَتْهُ الْجَنُوبُ جَانِبًا مِنْهَا وَوَاصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبَا^(٣)

واقترعت المرأة إذا اقتضضتها وأصله إذا علوتها . والأفرع : طويل الشعر

(١) قوله : من الآلى : أى من الذين . جواهرهم : أصلهم ، وجوهر كل شيء خالصه . إذا اعتزوا : أى إذا انتسبوا يقال اعتزيت إلى فلان أى انتسبت إليه . المصطفى : المختار .

[المعنى] أن صرعى لحظاتها من الصناديد من علىه القوم ، وأشرف أرومة فى المجد ، تسمو بهم صنائع آبائهم فى إغاثة الملهوف ، وبذل المعروف كابرًا عن كابر ، وفرعا عن أصل ، إذا ما انتسبوا ضمهم النسب المشرف بلا منازع نسب خير من نطق بالضاد ، النبى العربى الهاشمى المصطفى ، فاذا صرعت نظراتها شجعان خير أرومة بلا سيف مجرد ، ولا فصل محدد ، بل بسحر العيون فى حشا المفتون ، فكيف بغيرهم ممن لا يعرف له عزم ولا حزم ، ولم يتعود المجالدة والحفيظة ؟

(٢) قوله : جن الدجى : أى أظلم وستر ، والدجى الظلمة .

(٣) الجون : هنا السحاب الأسود ، والجون من الأضداد أى يكون الأسود ويكون الأبيض . الجنوب : الريح القبلية تسمى بالمطر . واصت : واصلت ، يقال واصل وواصله بمعنى واحد . الصوب : نزول المطر يقال صاب يصوب صوباً ، والاسم الصيب قال الله تعالى : (أو كصيب من السماء) والصبأ الريح الشرقية .

[المعنى] أطلب من الله أن يصلى على النبى المختار ما تعاوب الجديدان

تَأْيَ يَمَانِيًا فَلَمَّا اُنْتَشَرَتْ أَحْضَانُهُ وَأُمْتَدَّ كَسْرَاهُ غَطَاً^(١)
فَجَلَّلَ الْأَفَقَ فَكُلُّ جَانِبٍ مِنْهَا كَانَ مِنْ قُطْرِهِ الْمَزْنُ حَبَاً^(٢)

(الليل والنهار) وجرى النيران (الشمس والقمر) في مدارهما ، وهما لا ينقطعان ما دامت الدنيا والسموات والأرض وما جرى جون (سحاب) أبيض أو أسود ، تمدد الريح القبلية بسوقه إلى أية جهة غيرها ، ثم أثرت فيه ريح الصبا الشرقية فتصب ريعا غدقا ، والمقصود دائما أي أطلب الصلاة عليه بلا انقطاع ، على عادة العرب في تأييد أي معنى أرادوا تأييده حيث ما دام سهيل طالعا ، أو ما دامت السموات والأرض ، أو ما أشرق نجم في السماء .

(١) نأى يمانياً : أي طلع من ناحية اليمن يريد الغيم . انتشرت : أي كثرت وظهرت . أحضانه : نواحيه وأصل الحزن مادون الابط إلى الكشح كسراه : تثنية كسر ، وهو طنب الحباء ، وإنما كنى بالكسرين عن أذيال السحاب وهو استعارة وإنما يريد أن السحاب جرت على الأرض أذيالها . غطا : ارتفع ، وقيل انبسط يقال غطا الليل يغطو إذا انبسطت ظلمته .
(٢) قوله : جلل : أي غطى ، ومنه سمي جل الفرس جلالات لأنها تجلل به أي تغطي به . الأفق : الناحية وجمعه آفاق . من قطره : أي من ناحيته وجمعه أقطار على رواية من رواه بضم القاف ، والقطر جهة من جهات الأفق وعلى هذه الرواية يروى حبا بالياء بنقطة واحدة من أسفل ويكون معنى حبا امتد ودنا من الأرض لثقله بالماء يريد السحاب ويروى كأن من قطره كان حبا بالياء المنقوطة بنقطتين من تحت وقطره بفتح القاف وتقديره غطى هذا السحاب الأفق . فكل جانب : من جوانب هذه المواضع . كأن من قطره : أي من صوبه . حبا بالياء : أي خصبا . المزن : السحاب والواحدة مزنة وتصغيرها مزينة ، والقطر بفتح القاف : الماء السائل متقطعا يقال منه قطر يقطر قطراً .

وَطَبَّقَ الْأَرْضَ فَكُلُّ بُقْعَةٍ مِنْهَا تَقُولُ الْغَيْثُ فِي هَاتَا ثَوَى^(١)
إِذَا خَبَتْ بَرُوقُهُ عَنَّتْ لَهَا رِيحُ الصَّبَا تُشِبُّ مِنْهَا مَا خَبَا^(٢)

[المعنى] اتجه هذا السحاب بسوق الجنوب له يمانيا أى جهة اليمن وهى بالنسبة للبصرة والعراق العربى تقع فى الجنوب فلما انتشرت قطعه الجليدية بسوق الصبالة ضد الجنوب ، وامتد فى جو السماء سائرا فى جميع النواحي حتى كأن الرأى له يصوره بقبة غبراء جرت أذيالها على الأرض ، فغطا أى حجب وستر الضوء أن يشرق على وجه البسيطة ثم جلل الأفق أى طبقه وعمه على الرغبة فكل ناخية فيها من القطر وابل ورهام ، كأن السحاب حبا الخليفة وحياتها بصية المخصب وغيثه العميم ، هذا ما يظهر لى قربه إلى قصد علامة الأزدم من المعنين فى الشارح عليهما وعلينا الرحمة يقال حياه مولاه بكذا إذا منحه ووجهه ، يرشدك إليه قوله بعد : وطبق الأرض الخ .

(١) قوله . وطبق الأرض : أى وغطى الأرض هذا السحاب فصار لها كالطبق . فكل بقعة . أى مكان . فى هاتا : أى فى هذه ، وهو بمنزلة هذا اللدكر . ثوى : أقام .

(٢) خبت بروقه أى أطفئت وسكنت قال الله عز وجل : (كلما خبت زدناهم سعيراً) وعنت : عرضت ومنه قول امرؤ القيس :

فمن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل

نشب : توقد .

[المعنى] أن كل بقعة من الأرض تعترف بحميل هذا الغمام المطبق الذى أحيانا ، أخرج منها نباتها ومرعاها ، وأسأل من الجبال ذراها ، فامتلات الغدران ، وأسمت الوديان ، فكل بقعة لها لسان حال ينطق بالثناء والغطاة قائلا : الغيث ها هنا أقام وثوى . ثم لما كانت شدة البرق وتتابعه بالإشراق

وَإِنْ وَنْتَ رُعُودُهُ حَدًّا بِهَا رَاعِي الْجَنُوبِ فَحَدَّتْ كَمَا حَدَّا^(١)
كَأَنَّ فِي أَحْضَانِهِ وَبَرَكَهَ بَرَكَ كَأَنَّ تَدَاعَى بَيْنَ سَجَرٍ وَوَحَى^(٢)

أما رة جوده السحاب وامتلائها بالماء. قال في ذلك : إذا خبت أى ضعفت بروقه جمع برق - وهو ما لمع من اصطكاك السحاب بعضه ببعض والتهاب المواد الكامنة في جلده الكبريتية بالحركة الموجبة ، وإنما يكون ذلك بسوق الريح المسخرة بأمر الله تعالى بعضه إلى بعض ، وقد يصحب ذلك رعد وهو صوت اصطكاك السحاب المرسل بالريح بشدة بالحركة السالبة حيث تتعاند المواد الكامنة فيه فيحصل الضغط والتفارق ثم التجاذب الخ ما بين في علوم الطبيعة الكونية الإلهية وعنت لها أى سخرت لها ربح انصبا الشرقية فساقتها تشب وتلهب منها ما خبا أى ضعف .

(١) قوله : وإن ونت : أى ضعفت وفترت ومنه قول الله جل ذكره (ولا تنفيا في ذكرى) أى لا تضعفا ولا تفترأ . حدا بها : أى ساقتها بالحداء وهو صوت السائق الذى يسوق الإبل . الحادى : سائق الإبل يرفع صوته وراها بالغناء . والراعى : الذى يرعى الإبل أى يحفظها . راعى الجنوب : هنا مثل . الجنوب : الريح القبيلة . فحدت : ساقى . كما حدا : كما ساق .

(٢) قوله كأن في أحضانه : أى في أحضان هذا الأفق فالضمير في أحضانه على الأفق وإن شئت كان عائداً على السحاب وهو أحسن ، وأحضانه نواحيه من أطرافه . والبرك الأول : الصدر . والبرك الثانى : الإبل . تداعى : أى تتداعى فحذف إحدى التائين ، والتداعى هو أن يدعو بعضها بعضاً . السجر : الحنين ، والحنين طرب الناقة إلى ولدها وهو صوت شجى يقال حنت تحن حنيناً . الوحى : الصوت .

[المعنى] وإذا ضعفت رعود هذا السحاب جمع رعد ساقتها ربح الجنوب مصوباً بها كحادى الإبل يحثها به على سرعة المسير ، فحدت أى ساقى بعضها

لَمْ تَرَ كَالْمُزْنِ سَوَامًا بَهْلًا تَحْسِبُهَا مَرْعِيَّةً وَهِيَ سُدَى ^(١)
تَقُولُ لِلْأَجْرَازِ لَمَّا اسْتَوْسَقَتْ بِسَوْقِهِ ثِقِي بَرِيٍّ وَحِيًّا ^(٢)

إلى بعض كما ساق أولاهها وأكبرها حجما . أو المعنى صوتت كما صوت وهو أقرب للبالغة وأنسب في الخيال ، ثم قال : كأن في جوانبه ومقدمه وهو صدره جماعة من الإبل تداعى ونجاذب بعضها إلى بعض بين حنين وطرب لا يصددها إن انسابت إلى بنى جنسها وتناجها صاد ، تصوت صوتا يسيل عطفها ورقة وحنانا .

(١) المزن : السحاب . السوام : الإبل الراحية ، والمسيم الراعى للإبل السائمة يقال أسام الإبل يسيمها إسامة قال الله عز وجل : (فيه تسيمون) أى ترعون إبلكم . البهل : التى لم تحلب فتركت ضروعها ملأى من ألبانها ، وقيل البهل المتروكة بغير راع . تحسبها مرعية : أى محروسة . السدى : المهمة التى لا راعى لها قال الله عز وجل : (أبحسب الإنسان أن يترك سدى) ويروى سواما هملا أى متروكة .

(٢) الأجرار : جمع جرر وهى الأرض الصلبة التى لم يصبها المطر ، وقيل هى الأرض المشققة التى لم يصبها المطر ، وقيل هى الأرض المشققة التى لا تكاد تروى من الماء قال الله تبارك وتعالى : (أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) وجمعه أجرار . استوسقت : أى حملت ما يكفيها من الماء ، والوسق الجمع قال الله عز وجل : (والليل وما وسق) أى وما جمع من ظلمته قوله . ثقي برى : أى اطمئنى برى أى بشبع من الماء يقال شربت حتى رويت وقوله . وحيا : أى خصب وهو مقصور .

[المعنى] لم تر إبلًا سائمة ترعى فى الكلاء المباح ، بهلا تركت ضروعها ملأى باللبن بلا حلب ، تحسبها فى تساقطها وانتظام بعضها مع بعض

فَأَوْسَعَ الْأَخْدَابَ سَيْبًا مُخْبِيًا وَطَبَّقَ الْبُطْنَانَ بِالْمَاءِ الرَّوَّى (١)
كَأَنَّمَا الْبَيْدَاءُ غِيبٌ صَوْبِهِ بَحْرٌ طَمًا تَيَّارُهُ ثُمَّ سَجَا (٢)

واندفاعها منضمة إلى نظائرها مرعية أى نظمها الراعى لها ، وهى فى الحقيقة سدى لا راعى لها ، وإنما تتجاذب على هواها وبطبيعتها الحنونة الالوفة كالمرن أى السحاب المنجذب بعضه إلى بعض بنظام بديع غريب حتى يعم الأفق الواسع بلا سائق مشاهد ، بل المزن فى هذه المعانى أرقى ، تقول هذه المزن بلسان حالها للأجراز أى الأراضى التى طال جفافها واشتقت من شدة عطشها حين استوسقت وجمع ماؤها المتبىء للتدفق بسوق السائق غير المشاهد: نقي أيتها الأرض الصلبة المشقة التى طال عليها أمد عطشها برى محقق ، وخصب يجعلك جنة خضراء ، ورياضا غناء .

(١) الأحداب : جمع حذب وهو ما ارتفع من الأرض وغلظ قال الله سبحانه : (وهم من كل حذب ينسلون) . السيب : العطاء . المحسب : الكافى من قولك حسبنا الله أى كافينا الله . طبق : غطى وستر . البطنان : جمع بطن وهو الغامض من الأرض . الروى : الماء الكثير إذا كسر قصر ، وإذا فتح مد .

(٢) البیداء : الفقر وهى الصحراء أيضاً ، سميت بیداء لأنها تنید سالکها . غب صوبه : عقب مطره واتصب غب على الظرف ، وهو من الظروف ظرف زمان ، والصوب نزول المطر . طما : ارتفع . تياره : موجه . سجا : سكن قال الله تعالى : (والليل إذا سجي) أى سكن .

[المعنى] فعم صيب المزن الهطالة الأحداب المرتفعة من الأرض مع غلظها وسرى إلى باطن الأرض بالماء العذب الراوى - وكأنما الصحراء عقب نهطاله بحر طما تياره أى زخر بالماء الغزير الكثير فتموج ثم بعد الامتلاء وتساوى حاقى الوديان سكن وهدأ .

ذَٰكَ الْجِدَا لَا زَالَ مَخْصُوصًا بِهِ قَوْمٌ هُمْ لِلْأَرْضِ غَيْثٌ وَجِدَا^(١)
لَسْتُ إِذَا مَا بَهَظْتَنِي غَمْرَةٌ مِّنْ يَقُولُ بَلَّغَ السَّيْلُ الزُّبَى^(٢)

(١) الجدا : الأول في البيت هو النائل والعطاء ، ويقال الجدا المطر العام ، والذي في آخر البيت يحتمل أن يكون أراد به الجداء بالمد الذي هو الغناء من قولهم إن فلانا قليل الجداء عنك ، أى قليل الغناء عنك ثم قصره لضرورة الشعر ، ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الأول .

(٢) بهظتنى : شقت على يقال بهظنى الأمر أى شق على والغمرة الكربة والشدة وهى واحدة الغمرات . الزبى : جمع زبية وهى حفرة تحفر للأسد فى المكان العالى من الأرض وليس يبلغها إلا سيل عظيم ، وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الأمر ، ويروى بالراء وهو جمع ربوة ، والربوة ما ارتفع من الأرض . وفى الحديث : إن عثمان بن عفان رضى الله عنه لما عاب القتل وأيقن به كتب إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه : أما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزبى ، وجاوز الخزام الطبيين فاذا أتاك كتابى فأقبل إلى ، على كنت أم لى ، ثم تمثل ببيت العبدى وهو :

فإن كنت مأكولا فكن خيرا كل وإلا فأدركنى ولما أمزق

[المعنى] ذلك العطاء الفياض ، والنوال المغنى لا يصدر إلا من قوم هم للأرض ومن عليها غيث مغيث من الجذب ، وغناه من الفقر والاحتياج . ثم قال : وإنى الرجل الذى لا أشتكى دهرى ، ولا أذل لعوزى ، فإذا غمرتنى نكبة لا تحتمل ، وألم بى خطب جال ، لا أستغيث قائلا : بلغ السيل الزبى . وهذه المبالغة منه لا يقصد بها الخط من مقام الخليفة الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، القائل هذه الجملة [علانا منه يتهم الطعام وسوءة الأوطاد على مقامه الشريف ، واستنكارا لفعالهم الشنيع السخيف ، وإنما يقصد انه الراسخ

وإن ثوت تحت ضلوعي زفرة^(١) تملاً ما بين الرجا إلى الرجا^(٢)
 نهنتها مكظومة حتى يرى مخضوضعا منها الذي كان طغى^(٣)
 ولا أقول إن عرثني نكبة^(٤) قول القنوط انقذ في البطن السلا^(٥)

الثابت الذي لا يكيل المدح جزافاً ، يرشد إلى هذا المقصود قوله بعد :
 وإن ثوت الخ .

(١) ثوت : أى أقامت . الزفرة : والزفير ترجيع الصوت بالبكاء . وهو أن
 يمتلئ القلب هما وغماً والرجاء مقصور : الجانب .
 (٢) نهنتها : أى كففتها وزجرتها . مكظومة : أى متجرعة من قولهم كظم
 غيظه إذا رده وحبسه قال الله عز وجل : (والكاظمين الغيظ) . المخضوضع :
 المتذلل من الخضوع وهو الذلة . طغى : كثر قال الله تعالى : (إنا لما طغى الماء
 حملناكم في الجارية) أى فى السفينة سميت جارية لأنها جرت وقيل
 طغى : تكبر .

[المعنى] إن ترددت فى صدرى زفرة حزن حادة ، تملاً جانبي صدرى
 من شدة وقع ما أصابنى ، وألحت على فى البكاء لأفرج عن نفسى باستعبار
 عيني ، حبستها عن الاسترسال ، وكظمت غيظى ، وملكنت نفسى ، فلا أدع
 ما كان طاغياً عليها ملحا فى بكائها إلا خاضعا لعزيمتى ، ذليلاً أمام قوة إرادتى
 حتى لا يرانى أحد من الخليقة باكياً على نحو ما يقول الشاعر :

وتجلدى للشامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أنزعزع

(٣) عرثتى : واعتزتى : واحد ، وهو بمعنى واحد أى أصابتنى ، قال الله
 عز وجل : (إن نقول إلا اعتراك بعض آلها تنابسه) . النكبة : المصيبة وجمعها
 نكبات . القنوط : اليأس قال الله تعالى : (لا تقنطوا من رحمة الله) أى
 لا تيأسوا رقبته : انقذ : أى انقطع . السلا : بفتح السين المشيمة التى تتعلق

قَدْ مَارَسَتْ مِنِّي الْخُطُوبُ مَارِسًا يُسَاوِرُ الْهَوْلُ إِذَا الْهَوْلُ عَلَا^(١)
 لِي التَّوَاهُ إِنَّ مُعَادِيَّ التَّوَى وَلِي أَسْتَوِيهِ إِنْ مُوَالِيَّ أَسْتَوَى^(٢)
 طَعَمْنِي شَرِيٌّ لِلْعَدُوِّ تَارَةً وَالرَّاحُ وَالْأَرَى لِمَنْ وُدِّي ابْتَغَى^(٣)

بالولد وتسقط معه وهذا مثل تقوله العرب إذا بلغ أحدهم في الكرب غايته قال انقد في البطن السلا، والسلا إذا انقطع في بطن المرأة هلكت وقوله : (١) قد مارست : أى عاركت وضاربت . الخطوب : الأمور الشداد واحدها خطب . المارس : الشديد وهو صفة . يساور الهول : يغالبه ويطاوله ويلاصقه قال الشاعر :

فبت كائن ساورتنى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم نافع
 الهول : الشدة وجمعه أهوال . علا : ارتفع .

[المعنى] إن النكبة مهما اشتد مصابها ، وتفاقم على خطبها ، لا يجد اليأس سبيلا يصل منه إلى قلبى ، ولا القنوط منفذا يتسرب منه إلى فؤادى ، فإن ذلك من خور العزائم وخصائص البهائم ، أما الانسان الصعب ، والرجل الصلب ، إذا نزل به مد لهم فوته مع كرامته أهون عليه من أن يقول قول اليائس المهر : انقد فى البطن السلا . ثم قال لإثبات هذا : قد مارست الخأى قد سبرتتى الأهوال فوجدتنى رجلا أصلب عودا ، وجبارا عنيدا ، وصنديدا شديدا ، تغالب قوتى ، وعلو همتى ، علو الأهوال ، مهما سامت الجبال ، وجاوزت الأبعاد والأطوال .

(٢) قوله : لى التواء : أى انعواج . المعادى : العدو . الموالى : الصديق الذى يواليه أى يصادقه . استوى : اعتدل .

(٣) وقوله : طعمنى شرى : الشرى الخنظل . تارة : حيناً . الأرى : العسل الأبيض . الراح : الخمر . الود : الوداد . المودة : المحبة . ابتغى : طلب قال الله جل ذكره : (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) .

لَدْنُ إِذَا لَوَيْتُ سَهْلٌ مَعْطِي أَلْوَى إِذَا خُوشِنْتُ مُرْهُوبُ الشَّدَا^(١)
يَعْتَصِمُ الْحِلْمُ بِجَنْبِي حَبَوْتِي إِذَا رِيَّاحُ الطَّيْشِ طَارَتْ بِالْحَبَى^(٢)

[المعنى] لا أترك خصمى ينال منى دون أن أنال منه بالأنكى والأشد
فإن مال عن الطريق سوى ملئت معه كما مال ، وإن اعتدل صديقي ومن
يرادنى لم أغضه حقه ، بل أكيل له بما كال ، وأعظم له النوال . ثم قال :
طعنى شرى النخ هو بمعنى قول الشاعر :

وإن لسانى شهدة يشقى بها وهو على من صبه الله علقم
يريد يكسب برى من اتخذنى حبيباً وفيها ، ويدوق مر غضبي عليه من
صيرنى له عدوا . وكأنه أراد مغزى قول القائل :

إذا المرء لم يكرم حبيباً ولم يهن عدوا ولم يبرز لقرم يحاربه
فهذا الذى إن عاش لا يعتنى به وإن مات لم تحزن عليه أقاربه
(١) اللدن : اللين الرطب . معطى : أى رجوعى . لوينت : أخذت باللين
وضده خوشنت أى أخذت بالخشونة ، وهى الصعوبة . ألوى : أكون شديد
الخصومة . خوشنت : صورعت . مرهوب : مخوف ومنه قوله جل ذكره :
(لأتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى خوفاً . الشدا : الحدة مقصور
وقيل الشدا : الأذى وكتابه بالآلف وقوله .

(٢) يعتصم : أى يتعلق ويتمسك بجنبى الحبوة : شد الإزار على الركبتين
والظهر ولا يعرف الاحتباء إلا للعرب والهند يقال احتنى الرجل إذا اشتغل
بردائه فى وسطه ، وقيل الحبوة أيضاً أن يضم الإنسان نفسه قاعداً بشوبه
أو ييده ، والحباء جمع حبة مثل كذبة وكدى . الطيش : خفة العقل يقال
طاش السهم يطيش طيشاً إذا خف ولم يقصد الغرض ومنه قول الشاعر :

لو كان لى قرن أناضله ما طاش عند حفظة سهمى

لَا يَطْبِينِي طَمَعٌ مُدَنِّسٌ إِذَا اسْتَمَالَ طَمَعٌ أَوْ اِطْبَىٰ^(١)
وَقَدْ عَلَتْ بِي رُتْبًا تَجَارِبُ أَشْفَيْنَ بِي مِنْهَا عَلَى سُبُلِ النَّهْيِ^(٢)

[المعنى] إننى عند الاستعطاف وصنائع المعروف سهل القياد ، قريب الرجوع والخضوع كغصن الزيتون لدن رطب سهل الانعطاف لمن أراد ، بيد أنى شديد الخصومة مرهوب الأذى لمن غاشقنى وعاملنى بالشدّة على حد قول الحكيم :

إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتْهُ وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ تَمَرَّدَا
وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالنَّدَى مَضْرُوكُ وَضْعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
ثم قال : يعتصم الحلم الخ يعنى بلغ من أنانى ، وعظيم اضطبارى ، وبعد غضبى على من أساء إلى وتمسكى بحفيظتى من أن أثور للانتقام منه وأجمل له المساءة بما أبدى : أن الحلم نفسه ليس له مأوى سوى التعلق بجانبى حبوتى ، والتحلى بهدوء قعدتى فى الوقت الذى يطير فيه صبر الحليماء ، ويضل دون الاهتداء صواب العقلاء ، وكفى عن هذا بتطير رياح الطيش ما يحتجى به ويحفظ مرید الاحتماء من الوقوع .

(١) لَا يَطْبِينِي : أى لَا يَسْتَمِيلُنِي ويدعونى . الطمع : الحرص والرغبة مدنس : موشع والدنس الوسخ . إذا استمال : قاد وجذب .

(٢) قَدْ عَلَتْ : أى ارتفعت رتباً : منازل ودرجات ، وهى جمع رتبة . التجارب : جمع تجربة وهى الاختبار تقول جربت الرجل إذا اختبارته فأنا مجرب أى مختبر . أشفين بى : أى أشرفن بى يقال أشفيت على الشئ إذا أشرفت عليه وانتهيت إلى طرف منه ، وقيل معنى أشفين بى عرفنى ، قال هذه المعانى متقاربة . السبل : الطرق واحدها سبيل . النهى : العقول . قال الله تعالى : (إن فى ذلك لآيات لأولى النهى) يريد أنه جرب الأمور بتجارب

إِنْ أَمَرُوا خَيْفَ لِإِفْرَاطِ الْأَذَى لَمْ يُخْشَ مِنِّي نَزَقٌ وَلَا أَذَى ^(١)
مِنْ غَيْرِ مَا وَهَنٍ وَلَكِنِّي أَمَرُوا أَصُونُ عِرْضًا لَمْ يُدْنَسْهُ الطَّخَا ^(٢)

كثيرة فارتفعت به إلى مراتب عالية ووقعت به على طرق العقول .

[المعنى] لا يستهوينى وينسينى حفيظتى ومغالاتى بشرفى طمع فى نوال نائل إذا استهوى الطمع محبوا المال ، ومرجحو جانب العطاء على حفظ الكرامة ، وكال القناعة ، بل علمتنى التجارب ما علت به همى ، وسمت به مكاتى ، فتبوات مكان الشرفاء ، وحملت محل النبلاء ، وكنت كالتاج المرصع تزدان به رموس الأمراء ، وبما ينسب للإمام الشافعى رضى الله عنه :

وعندى بالقناعة خير عز وهل عز أعز من القناعة
فصيرها لنفسك رأس مال وصير بعدها التقوى بضاعة
لتغنى فى حياتك عن لثيم وتحظى فى الجنان بصبر ساعه
(١) الإفراط : أن يبلغ الأمر فوق حده ، والمبالغة فى الشيء وإن شئت قلت الإفراط العجلة . النزق : الخفة .

(٢) الوهن : الضعف قال الله العزيز : (رب إني وهن العظم مني) أى ضعف . لم يدنس : لم يوسخه . الطخا : العيب ويقال الحبل . أصون : أحفظ ، والصيانة الحفظ والطخا ممدود فقصره .

[المعنى] أرانى لا اعتدال مزاجى فى الرضا والغضب لا تخشى الناس خفى إلى الأذى ، ولا جورى عند الانتقام ، وليس من خور أو ضعف عن النكاية بأعدائى إذا كثر أحدهم لى عن ناب أذرق ، ولكنى امرؤ أتعشق ألا يتخذش عرض لم يدنس بعيب ، وليس الكريم من واد الأصدقاء . وأبى الأحياء ، وإنما الكريم جد الكرم من لم يسرف فى نكاية الأعداء ، ولم يطعن الخصم حين نشوب الداء . فاذا لم يربدا من غل يديه ، وقص الحلال من شاربيه ، لم يخرج عن حد الاعتدال ، إلى ما هو أشبه بالافتراس والاغتيال ،

وَصَوْنُ عِرْضِ الْمَرْءِ أَنْ يَبْذُلَ مَا صَنَّنَ بِهِ بِمِمَّا حَوَاهُ وَأَنْتَصَى^(١)
وَالْحَمْدُ خَيْرُ مَا اخْتُذَتْ عُدَّةٌ وَأَنْفَسُ الْأَذْخَارِ مِنْ بَعْدِ التَّقَى^(٢)
وَكُلُّ قَرْنٍ نَاجِمٍ فِي زَمَنِ فَهُوَ شَبِيهُ زَمَنِ فِيهِ بَدَأَ^(٣)

ليكون في حالي الرضا والسخط من بني الانسان ، وفي المثل النبوي : الشديد من ملك نفسه وقت الغضب .

(١) صون : أى حفظ . أن يبذل ما ضن به : أى يخل به . حواه : جمعه ، وإن شئت قلت حاز ملكه . انتصى : اختار يقال انتصاه ينتصيه ، واجتباه يجتبيه ، واعتماه يعتميه وفيه لغة أخرى إعتماه يعتامه قال الشاعر : أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيقة مال الفاحش المتشدد
(٢) قوله اتخذت : أى اكتسبت . عدة : عمدة . أنفَس : أعلا وأرفع الأذخار : جمع ذخر وهو المرفوع يقال ذخرت الشيء أى رفعته وخبأته ومنه قولهم أنت ذخيرتى للدهر . التقى : مخافة الله عز وجل .

[المعنى] إنما تكون صيانة عرض المرء ببذله ما اختاره لنفسه ، واحتفظ به لكيانه ، فينفع به مع الضن به على غير أهله من هو لمعروفه أهل ، ولو كان له خصما لدودا ، وجبارا عنيدا ، فكثيرا ما قاد المعروف زمام الرجال ، بد الانسان إحسان ، وفي قول الله العزيز الحكيم : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) ما يبرر هذا المبدأ القويم ، ثم قال : والحمد الخ يعنى أن خير ما يربحه الانسان الكيس في حياته الدنيا أمران لا ثالث لهما : تقوى الله العظيم أولا ، وثناء الناس وحسن أحوالهم عن المرء ثانيا ، وفي ذلك قول الحكيم : والذكر للانسان عمر ثان .

(٣) يقول : كل قرن : أى كل أمة فالقرن بالفتح الأمة . ناجم : مرتفع يقال نجم الشيء إذا طلع وارتفع وقوله . فهو شبيه زمن فيه بدا : أى كل

وَالنَّاسُ كَالنَّبْتِ فَمِنْهُمْ رَائِقٌ غَضٌّ نَضِيرٌ عُوْدُهُ مُرٌّ الْجَنَى^(١)

أمة طلعت في زمان فلك الأمة مشبهة الزمان الذي نجحت فيه أى نشأت فيه ، وهذا مأخوذ من الحديث الذي ورد : الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم ، والقرن في غير هذا الموضع الوقت من الزمان ، زعم قوم أنه أربعون سنة ، وزعم قوم أنه ثمانون سنة ، وقال قوم هو مائة سنة ، واختار بعض أهل اللغة هذا لما جاء وصح في الحديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم مسح يده على رأس غلام ثم قال له : عش قرنا فعاش مائة سنة ، وروى كل قرن بكسر القاف وهو النظير ، والتقدير وكل رجل نشأ في زمان فهو شبيه بالزمان الذي نشأ فيه ، لأن الرفيع لا يرتفع إلا في الزمان الرفيع ، والساقط لا يرتفع إلا في الزمان الساقط ، وبدا بغير همز : ظهر .

(١) النبت : والنبات واحد وهو ما نبت : أى خرج من الأرض فنه . رائق : أى معجب . الغض الطرى الأخضر الناعم وكذلك . النضير : أيضا قال الله عز وجل : (وجوه يومئذ ناضرة) أى ناعمة . الجنى : ما اجتنى من الثمر أى قطف وهو مفتوح الجيم مقصور .

[المعنى] أن كل أمة نشأت في أى عصر فهى تابعة لعصرها الذى فيه تربت وترعرعت أيا كان نوعه ، فان كان عصر بر وخير ، وجمال وكمال ، فهى أمة المجد والعز والشرف محمودة الخير ، طيبة الاثر ، وتامة العرفان ، قوية السلطان ، وإن كان عصر محق وبلاء ، واستهتار بما بدا بين الأرض والسماء وخاصم المجموع منها العلماء والحكماء ، وغمطوا حقوق النبغاء ، وأعرضوا عن العقلاء ، فهى أمة الذلة والمهانة ، منهوكة العرض والصيانة ، تجنى بما اقترفت يداها الآثمتان البوار والدمار ، والعار والشنار ، وانقسامها على نفسها ، وإنما الناس كالنبت الطيب والخبيث فالأول كما وصفه الله جل شأنه بقوله تعالى :

وَمِنْهُ مَا تَقْتَحِمُ الْعَيْنُ فَإِنْ ذُقْتَ جَنَاهُ أُنْسَاغَ عَذَابًا فِي اللَّهِ^(١)
يَقُومُ الشَّارِخُ مِنْ زَيْغَانِهِ فَيَسْتَوِي مَا أُنْعَاجَ مِنْهُ وَانْحَنَى^(٢)

(كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها)
بروق الدأى ودأوها ويعم نفعها ، والثاني كما قال جل شأنه : (إن شجرة
الزقوم طعام الآثيم كالمهل يغلى في البطون كغلي الحميم) كالخظل خضر نضر غير
أنه مر المذاق إذا ازدرد قتت الأمعاء ، وألهب الداء ، كذلك بنو الانسان
وأفراد المجتمع البشري البعض حميد الخصال ، لذيد المقال . شريف المبدأ نافع
في المجتمع ، والبعض الآخر أدنى من البقر المعجاف ، والسهم الزعاف ،
لا يرجى خيره ، ولا يبعد عن المجتمع شره . وأهل الفراسة في مملكة سيام يقولون
إن كل فرد من بنى الانسان له نظير في أفراد الحيوان لا ينقص عنه شيئاً
في العادة والخلق .

(١) تقتحم العين : أى تتركه كرها له وتعدوه إلى غيره . فان ذقت جناه :
أى ما اجتنبته منه . أنساغ : أى سهل بلعه : عذاباً : أى سملوا . اللهأ : بفتح اللام
جمع لهأة وهى اللحمية المتعلقة بأصل الحنك ، واللهى بالضم جمع لهوة وهى
المالو العطية ، والاصل فى اللهوة بالضم ما يجعله الطاحن فى فم الرحى ليطحن ،
الواحدة لهوة ولهية .

(٢) الشارخ : الشاب الحديث المستقبل للشباب ، وشرح الشباب أوله
زيفانه : بالزأى والغين ميله ، يقال زاغ الشيء إذا مال يزيف زيفاً قال الله جل
ذكره : (وإذا زاغت الأبصار) أى مالت وقوله : (فلما زاغوا أزاغ الله
قلوبهم) . أنعاج : انعطف . انحنى : مثله .

[المعنى] فى هذا البيت والذى قبله : أن مظاهر الناس ودخيلتهم كمظاهر
النبت ودخيلته ، فكما ترى نبتاً يأخذك الإعجاب بنضرة عوده ، وامتداد ساقه ،
وحسن روائه ، فإذا ذقت ثمره وجناه كان المر العذاق ، والطعم الذى لا يطاق ،

وَالشَّيْخُ إِنْ قَوْمَتُهُ مِنْ زَيْغِهِ لَمْ يَقُمْ التَّقْيِيفُ مِنْهُ مَا التَّقْيِيفُ (١)
كَذَلِكَ الْقَصْنُ يَسِيرُ عَطْفُهُ لَدَنَا شَدِيدُهُ عَمَزُهُ إِذَا عَسَا (٢)

وترى نبأ آخر تفتحهم عينك وتزدر به لرداء منظره وفتح روايته حتى إذا ذقت جناه وجدته عذاباً شهيماً ، سائفاً هنياً ، تقر به العين ، وينشرح له الصدر ، كذلك ترى من بني الإنسان من تغتر بمظهره ، وما شاع بين الناس من لطيف مخبره ، فإذا حككته بمحك العشرة واختبرته وسبرت غوره ، بدا وكأنما قد يقهقه أو يحجوز تلمظ ، وترى من لا تغيره التفاتاً ، ولا تقيم له وزناً لدمامة في خلقه ، أو إهمال في قيافته وتنظيم هندامه حتى إذا خالطته أعجبك منه حسن خلاله ، وشريف خصاله ، وربما لمت نفسك على التفريط في واجبه ، ثم قال علامة الأزد : يقوم الشارخ الخ يعني أن الشاب في حداته قابل للثقافة والتعليم ، وتقويم ما اعوج من أمره وأساء في فعله ، كالأرض الخصبية القابلة للاستثمار .

(١) قوله : من زيفه : أى من ميله . لم يقيم : لم يعدل ولم يقوم . التقييف : التقويم . ما التوى : أى ما تعوج .

(٢) كذلك القصن : أى الفرع . يسير : سهل . عطفه : رده . واللدن : اللين . والغمز : هنا اللمس باليدين والتقويم . عسا : صلب ويروى عتاباً . بنقطتين من فوق ومعناه أيضاً صلب .

[المعنى] أن الشيخ وهو في اللغة من بلغ الأربعين عاماً والمراد به هنا من انقضى زمن شبابه في غير ثقافة علمية أو تجارب اجتماعية ، إذا اعوج أمر وأردت إصلاحه أو تقويمه بشئ الوسائل لم يقيم تثقيفك له ما التوى من أمره للعادة المتأصلة فيه ، والاستبداد بالرأى المتغلغل في لبه منذ نشأ وشب ، ومن شب على شئ شاب عليه ، فهو كأرض صخرية أو قاع عرْفَج

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ تَحَامَوْا ظُلْمَهُ وَعَزَّ عَنْهُمْ جَانِبَاهُ وَأَحْتَمَى^(١)
وَهُمْ لِمَنْ لَانَ لَهُمْ جَانِبُهُ أَظْلَمُ مِنْ حَيَاتِ أَنْبَاثِ السَّفَا^(٢)

لا يبتك الكلاء ولو خالطه الريح وفي المثل من شعر بدیع :
ذهبت إلى العطار يصلح عيها ولن يصلح العطار ما افسد الدهر
وقوله كذلك الغصن الخ يعنى : أن الشبان والشيخ كالغصن رطبا ويابس
فكما يمكن تقويم الغصن ما دام لدينا رطبا كذلك الشبان ما داموا في شرح
الشباب ، وكما لا يمكن تقويم ما اعوج منه إذا يبس وعنا فكذلك الشيخ
متى صلبت أعوادهم وجدت أفكارهم :

إن الأمور إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومته الخشب
وليس يقصد علامة الأزد تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وأنهما لا يفيدان الشيخ بل يعنى أن الثقافة زمن الشباب يتحقق نفعها وتربو
آثارها حيث ينغرس في القلب حبها والعمل بها .

(١) من ظلم الناس : أى تعدى عليهم وأضر بهم ، وأصل الظلم وضع الشيء
في غير محله ، وزعم قوم أن الظلم إنما هو أخذ الإنسان ما ليس له ، ومنه
قولهم من أشبه أباه فإظلم ، أى ما وضع الشبه في غير ما ليس له ، وهذا يرجع
إلى ما قلناه إنه وضع الشيء في غير موضعه لأنه إذا أخذ ما ليس له فقد وضع
الشيء في غير موضعه . تحاموا ظلمه : تباعدوا عنه وامتنعوا منه . وعز عنهم :
امتنع عنهم ، والعزة القوة والشدة ، ومنه قولهم إذا عز أخوك فهن ، ومنه
قول الله عز وجل : (وعزنى في الخطاب) أى غلبنى في الخطاب ونحوه قوله
جل ذكره : (ليخرجن الأعز منها الأذل) أى ليخرجن القوى منها الضعيف .
جانباه : ناحيته . احتمى : امتنع .

(٢) لان : ضعف وسهل . الأنباث التراب المستخرج من البئر ، يقال
نبث ينبث إذا حفر واسم الفاعل نابث ونباث قال الشاعر :
يهيل ويذرى تربها ويشيره . إثارة نبات المواجهر مخمس

أى مستخرج للتراب . السفا : هنا التراب ، وهو ما تسفيه الريح أى تحمله وترمى به ، وقيل السفا تراب القبر ، والسفا فى غير هذا شك البهيمى وشوك السنبلى .

[المعنى] إن نفوس العباد جبلت على الظلم وقهر الغير وحب الظهور بقوة الغلبة ونفوذ السلطان بداعى التنازع فى البقاء ، والتمتع بالحياة ، ويحيل لكل نفس أنها متى قهرت ضاعت حياتها ، وانسدت سبل الاستثمار أمام ناظرها ، لهذا كان طبعيا أن تميل إلى السيطرة على مال الغير من ملك وارتفاع كما قال الشاعر غير مبالغ :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم
وإنما يسلم من عادات الخلق وامتداد أيديهم إلى ما يملك من حول وقوة
إذا هو سبقهم إلى ما يتعشقونه ، فتغداهم قبل أن يتعشوه ، وظلمهم قبل أن
يظلموه ، وحينئذ يتقون شره ، ويحذرون ضره ، ويعز جانباه من أن ينال
منهم بسوء ، أو يتعدى عليه أى معتد ، كما أنهم أظلم من حيات القبور ،
وعقارب السفا بين طيات الصخور ، لمن لان جانبه وأبعد عنهم أذاه وهو
بمغزى قول الشاعر :

من يحذر الناس مات هما وفاز باللذة الجسور
ثم ينبغى أن يقال إن علامة الأزد لا يقصد بالبيتين حض الناس على
الظلم ، فإن هذا مبدأ فوضوى همجى لا يليق بعلامة أديب ، وحكيم أريب ،
وإنما يقصد أن الخنوع والخضوع للحد المذرى لا يليق بمن يريد الحياة مع
الخلق المتذئب ، ومن لم يتذأب تأكله الذئاب ، فالملقصود أن يعرف شجاعا
فيخاف بطشه إذا هو استغضب ، أبى الضيم إذا هو سلب ، فيذهب عنه كل
أذى وشر ، وكفى أنه لا يضر ، وتمتلى العين به مهابة وإجلالا .

عَبِيدُ ذِي الْمَالِ وَإِنْ لَمْ يَطْمَئُوا مِنْ غَمْرِ فِي جُرْعَةٍ تَشْفِي الصَّدَى^(١)
وَهُمْ لِمَنْ أَمْلَقَ أَعْدَاءَهُ وَإِنْ شَارَكَهُمْ فِيمَا أَفَادَ وَحَوَى^(٢)

(١) الغمر : الماء الكثير الذي يغطي من دخله ، وهو ههنا العطاء ، يقال رجل غمر أي واسع الخلق كثير العطاء . الجرعة : القليل من الماء مثل الحسوة تشفى : تبرى . الصدا : العطش وهو مصدر صدى يصدى صدى .
(٢) أملك : افتقر والإملاق الفقر قال الله عز وجل : (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أي فقر ومنه رجل يملك أي فقير ، وكذلك مخفق وصعلوك ومقتر ومصرم والمصرم الذي ذهبت إبله ورجل سبروت أيضاً وامرأة سبروتة وسبريته وقوم سباريت ، وكذلك قرضوب وقرضاب أي فقراء . أفاد : أكسب . يقال أفاد الرجل مالا إذا أكسبه . وحوى : ملك وجمع . [المعنى] أن الناس جلبوا على احترام أرباب الأموال ولو لم يضربوا في الحسب والنسب بسهم ، بل ولو لم يستفيدوا من مال الغنى جرعة ماء تنقع غلتهم ، أو مضغة من طعام تسد رمقهم ، أو بنسا من فلس يقضى حاجتهم ، بل ولو ضم ضحضاحهم إلى غديره ، وتوحش كالليث في عرينه ، كما جلبوا على استرذال من أملك ، ولو انتسب إلى مجدموئل وشرف محقق ، بل ولو بذل لهم كل ماملك ، أو شاركهم فيما استفاد ، فهو المقتحم المرذول ، والثقل المبتذل ، وما أفاده علامة الأزدي هذين البيتين من خلق اجتماعية ، وزهرة طبيعية وفلسفة منطقية هو الواقع الذي لا شك فيه ، حتى بين طبقات المثقفين ، ما داموا مخاريق ماديين ، ومن نظم أهل العرف العام في ذلك قولهم :

إن قل مالى فما خل يصادقنى أو زاد مالى فكل الناس خلافى
ولأنما تجلى لك هذه الزهرة متفتحة البراعم بين القرويين في سادتهم الطغام ، الذين سبقوا فى الجشع أشعب ، ودنسوا الإنسانية دنس الكلب

عَاجَتْ أَيْمَى وَمَا الْعِزُّ كَمَنْ تَأَزَّرَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ وَأَرْتَدَى^(١)
لَا يَرْفَعُ اللَّبُّ بِلَا جَدٍّ وَلَا يَحُطُّكَ الْجَهْلُ إِذَا الْجَدُّ عَلَا^(٢)

الأجرب ، أعاذنا الله وأهل المعرفة الحقّة والخلق المطبوع من هذا الخلق الدنيء . فما المال إذا قيس بالخلق إلا كقلامة الأظافر ، ولقد تمثلت السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين رضى الله عنها حين قال لها قومها : كيف تزوجين محمدا وهو فقير ؟ فقالت :

إذا سلست رموس الرجال من الردى فما المال إلا مثل قص الأظافر
(١) عاجت أيمى : أى ماضتها يقول مضغتي ومضغتها وعركتى وعركتها . الغر : الذى لم يجرب الأمور . تأزّر : من الإزار كأنه يريد أنه جرب الدهر حلوه ومره فكأن الدهر تغلب عليه بأحواله حلوها ومرها .
(٢) قوله : لا يرفع اللب : وهو من الرفعة أى لاتعلو منزلته ، ويروى لا ينفع من النفع الذى هو ضد الضر ، واللب العقل وجمعه ألباب . الجد : بالفتح الحظ والبخت . ولا يحطك الجهل : أى لا ينزلك ولا يسفلك ، ويروى ولا يحطك الجهل أى لا يبطل حظك ولا يسقط رفعتك ، ومنه قوله جل ذكره : (وأحبط أعمالهم) أى أبطأها . إذا الجد علا : أى إذا السعد ارتفع .
[المعنى] لقد مضغتي أيمى ومضغتها ، وجربتني وجربتها ، فأنا بها خير ، وبتقلباتها بصير ، ولا يستوى المدره المرن المحنك ، بالغر الحسن الظن بدهره وناسه ، فإن الأخير ناقص قال الشنفرى :

وحسن ظنك بالأيام منقصة فظن شرا وكن منها على وجل
ثم قال : لا يرفع اللب الخ يعنى أن عقل العاقل وعلمه لا يرفع شأنه بين الخلق الهوج بلا مال يكبره فى نظره القاصر ، وتفكيرهم القاتر ، كما لا يحط قدره بينهم تبليه وجود قريحته وجهله متى سعد حظه وعلا جده .
وهذه النظرية أثر للنظرية الأولى ما دام الخلق عبيد المال .

مَنْ لَمْ يَعْظِهِ الدَّهْرُ لَمْ يَنْفَعَهُ مَا رَاحَ بِهِ الْوَاعِظُ يَوْمًا أَوْ غَدًا^(١)
 مَنْ لَمْ تَقْدَهُ عِبْرًا أَيَّامُهُ كَانَ الْعَمَى أَوْلَى بِهِ مِنَ الْهُدَى^(٢)
 مَنْ قَاسَ مَا لَمْ يَرَهُ بِمَا يَرَى أَرَاهُ مَا يَدْنُو إِلَيْهِ مَا نَأَى^(٣)

(١) من لم يعظه الدهر : أى من لم يبصره . راح : أتى بالعشى ، واغتدى
 أتى بالغدو .

(٢) من لم تقده : أى تكسبه مأخوذ من أفاد يفيد إذا أكسب العبر :
 جمع عبرة وهى التذكرة . العمى : هنا عمى القلب وهو انطماس ذكائه .
 الهدى : القصد إلى الصواب .

[المعنى] من لم يتخذ من حوادث الزمن عبرة . وهداية يتبصر بها فيما
 يعرض له من أحوال لم ينتفع بعظة الواعظ ولو نصح ليل نهار ، وصباح
 مساء ، فإن القول مهما بلغ منطق سحبان ، وفصاحة حسان ، أقل تأثيرا فى القلب
 من التجربة الفعلية ، فمن لم تقده أيامه عبرا وحنكة وخبرة بكثير من الأمور
 كان أولى بأن يتصف بعمى البصيرة وفقد الذكاء ، من أن يعد فى عداد العقلاء .
 (٣) من قاس : من مثل ، والقياس فى اللغة التمثيل وحده عند الأصوليين
 أن يقال القياس : حل أحد المعلومين على الآخر بمعنى يجمع بينهما ، وقيل
 حد القياس رد فرع إلى أصل فى بعض الأحكام بمعنى يجمع بينهما ، وقيل
 القياس : رد الشيء فى الحوادث إلى نظيره وقوله : أراه ما يدنو : أى ما يقرب
 ما نأى : ما بعد يقال نأى نأيا ومعنى هذا البيت . يقول من كان عاقلا
 عارفا بالأمور تبين له ما غاب عنه بما ظهر له بقياس عقله وحسن رأيه
 وأدبه .

مَنْ مَلَكَ الْحَرِصَ الْقِيَادَ لَمْ يَزَلْ يَكْرَعُ فِي مَاءٍ مِنَ الدَّلِّ صَرَى^(١)
 مَنْ قَارَضَ الْأَطْمَاعَ بِالْيَأْسِ رَنَتْ إِلَيْهِ عَيْنُ الْعِزِّ مِنْ حَيْثُ رَنَّا^(٢)
 مَنْ عَطَّفَ النَّفْسَ عَلَى مَكْرُوهِهَا كَانَ الْغِنَى قَرِينَهُ حَيْثُ أَنْتَوَى^(٣)

(١) من ملك الحرص : الحرص الاجتهاد في طلب كل مرغوب فيه مع كثرة الموانع منه . يقال حرص يحرص فهو حريص . والقياد : الطاعة من قولك قدت الدابة فانقادت لى : أى أطاعتنى . يكرع : أى يخوض في الماء ، ويقال أيضا كرع الإنسان في الماء يكرع كروعا إذا شربه . الصرى : الماء الدائم الذى قد طال مكثه فتغير فيه ، والصرى من اللبن أيضا ما طال مكثه في الضرع ولم يجلب ، والصرى جمع ، والواحدة صرة ، ويقال شاة مصراة إذا حلبت في ثلاثة أيام حلبه ، وحكى الفراء صرت الناقة وصريت لغتان فعلت وفعلت ، وأصل التصرية الجمع .

[المعنى] من قدر ما غاب عن حسه الظاهر بما شاهده أظهر له هذا التقدير ما خفى عنه وقرب إليه البعيد ، فيحكم على ماسيكون بحكم ما هو كائن ، ما دام متحدا معه في رتبة الامكان . ومن ملك الحرص والشح زمامه تجرع كؤوس الذل والمهانة في كثير من أموره وغالب أحيانه ، حيث لا كرامة مع الحرص الشديد ، ولا لذة للحياة مع فقد الكرامة ، ولا يزال الحريص يشرب ماء حياته آسنا كدرا ، وغضا غير سائغ ، منحط القدر قليل الاعتبار ، قال الحكيم :

يبدل وحلم ساد في قومه الفتى وكونك إياه عليك بسير

(٢) الأطماع : جمع طمع . اليأس : انقطاع الرجاء . رنت : نظرت .

(٣) عطف : آمال ورد . كان الغنى قرينه : أى صاحبه . حيث انتوى :

أى حيث نوى وهو من النية ومعنى النية القصد ، يقال نويت أمر كذا أنويه

مَنْ لَمْ يَقِفْ عِنْدَ انْتِهَاءِ قَدْرِهِ تَقَاصَرَتْ عَنْهُ فَسِيحَاتُ الْخَطَا^(١)
مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ جَنَى لِنَفْسِهِ نَدَامَةً أَلْذَعُ مِنْ سَفْعِ الذِّكَا^(٢)

نية إذا قصدته وقيل حيث اتوى حيث بعد ، وهو من النوى أى البعد وجاء على بناء افعل .

[المعنى] من حارب أطماع النفس فيما ملكته يد الغير باليأس منه وقطع الرجاء فى الحصول عليه وتعويد النفس عدم الرغبة فيه نظرت إليه عين العز والمجد والشرف من حيث نظر ، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : « إزهد فيما فى أيدي الناس تحبك الناس » ، ومن حبس النفس على ما تكره من الجد والاجتهاد وكفها عن السرف والتبذير وكبح جماحها عن سيرها فى ميادين شهواتها كان غنى النفس والمال قرينيه فى كل ما نوى الغنى والسراء فيه .

(١) انتهاء قدره : غاية قدره . تقاصرت : قصرت . فسيحات : واسعات . فلاة فسيحة : أى واسعة . الخطا : جمع خطوة ، وكتابته بالالف لأنه يرجع إلى الواو فى قولك خطوات فى الجمع ، وخطوت إذا رددت الفعل الى نفسك ويخطو فى المستقبل .

(٢) من ضيع : ترك ، والمضييع التارك . الحزم : الاحتراس فى الأفعال والاستعداد الأمور قبل وقوعها . جنى لنفسه ندامة : أى قادها إليها كما يجنى الثمرة أى يجمعها ويقطعها ، ويجوز أن يكون جنى بمعنى جر على نفسه ندامة فتكون اللام فى نفسه بمعنى على ، وندامة حسرة وتأسفا . الذع : أشد حرفة . السفع : الإحراق . الذكا : التهاب النار مقصور يكتب بالالف لأنه من ذوات الواو ، يقال ذكت النار تذكو ذكوا وأما الذكاه من الفهم فمدود ، وكذلك الذكاه بمعنى السن من العمر قال زهير :

يفضله إذا اجتهدا عليه تمام السن منه والذكاه

مَنْ نَاطَ بِالْعُجْبِ عُرِيَ أَخْلَافَهُ نِيْطَتْ عُرْيُ الْمَقْتِ إِلَى تِلْكَ الْعُرْيِ^(١)

والذكاء مضموم الأول بمدود اسم الشمس ، ويقال للصبح ابن ذكاء ، وهو غير مصروف لعلتى التأنيث والتعريف قال الراجز :

وردته قبل انبلاج الفجر وابن ذكاء كامن في كفر

يعنى أن الصبح كامن في سواد الليل لأن الكفر في اللغة التغطية فكان سواد الليل كفر الصبح أى غطاه .

[المعنى] أن ذا الهمة الكبيرة ، والنفس المتوثبة ، لا يقف عند حد محدود من العمل المشر ، والمنزلة العالية المرجوة . بل كل ما وصل إلى كمال طلبه إلا كمال منه ، ما دام في مناط قدرته ومحل اختياره فتتقاصر عن إدراك غايته همم الرجال ، وقوى الأبطال ، وحينئذ لا يندب حظه ، ولا يحسد غيره منشدا قول اليأس العاجز :

تقدمتنى أناس كان خطوهم وراء خطوى لو أمشى على مهل بل ينشد :

وما أنا راض أتى واطىء الثرى ولى همة لا ترضى إلا فى مقعدا ومن ضيع الحزم والعزم وكسر حدة الإرادة وفى فى عضد نفسه عن إدراك المعالى والعوالى ، فقد جر على نفسه حسرة وندامة أشد لذعا فى الجسم من لذع جمر الغضى وأحز فى النفس من ذبح المدى ، من حيث لا تجدى إحداهما بعد فوات الوقت وبعد الغرض .

(١) قوله : من ناط : أى علق وألصق . يقال ناط فلان الشيء . ينوطه نوطاً فهو نائط والشيء منوط أى معلق والنياط عرق غليظ علق به القلب وجمعه أنوطه فترد الياء الى الواو لأنها فى النياطة مبدلة من واو . عرى : جمع عروة وهو ما يتمسك به أى يتعلق به . أخلاقه : طبائعه . نيطت : علفت ، المقت أشد البغض يقال فلان مقيت وعمقوت . يقول من كان ذا عجب وقرن ذلك بأخلاقه قرن ذلك العجب بشدة البغض له .

مَنْ طَالَ فَوْقَ مُنْتَهَى بَسْطَتِهِ أَعْجَزَهُ نَيْلُ الدُّنَا بَلَهَ الْقُصَا^(١)

(١) قوله : من طال : أى من ارتفع ، والبسطة الفضلة يفضل بها الانسان على غيره ، ومنه قول الله تبارك وتعالى : (وزاده بسطة في العلم والجسم) وقوله أعجزه نيل الدنى : أى أضعفه وقصر به ، وقيل فاته ، والنيل الادراك ، والدنى جمع الدنيا وهو الشيء القريب . القصا : جمع القصوة وهو الشيء البعيد قال الله جل ذكره : (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى) وبله بمعنى غير ، وقيل بمعنى دع ، وفى الحديث : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، بله ما اطلعتم عليه ، يريد غير ما اطلعتم عليه ، فاذا كانت بمعنى غير كان ما بعدها مخفوضا على الإضافة ، وإذا كانت بمعنى دع كان ما بعدها منصوبا مفعولا ببله لأنها تضمنت معنى دع كما تقول دع زيدا ، وأنشد النحويون قول الشاعر :

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها بله ألا كف كأنها لم تخلق

معناه تفعل هذا فى الجماجم دع ألا كف كأنها لم تخلق أو غير ألا كف ، وكذلك يقول ابن دريد رحمه الله من طال فوق قدره أعجزه نيل الدنى ، وهى الأمور القريبة بله القصا فانك لا تدركها إذا لم تدرك القريب .

[المعنى] أن من امتلأ عجا بنفسه أو عمله أو ماله وما إلى ذلك من حاء وولد وخول وخدم فقد غرس فى قلوب الخليفة مقتته ، وألبهم عليه من حيث يشعر ولا يشعر ، والعجب من أمراض القلوب ونقص العقول إذ يجر إلى التهاون والاستخفاف بغيره ، فيترك واجبه فيقابل بالمثل أو أنكى وأشد ، كذلك من رفع نفسه فوق قدرها ، وتمدد أطول من قامته وغاية بسطته لينال ما لا يناله مثله ، ويطلب ما لا يرتفع له قدره ، فقد كلف نفسه أمرا إذا ، وكان يجعل يريد أن يسابق فى تسلق الأشجار قردا ، أو كمصفورة

مَنْ رَامَ مَا يَعْجَزُ عَنْهُ طَوْقُهُ مِلْعَبٌ يَوْمًا آخِزٌ مَجْزُولٌ الْمَطَا^(١)
وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أُنْزِيَ عَنِّي^(٢)

أرادت أن تبيض بيضة النعامة ، فثقل هذا يعجز عن نيل القصير فضلا عن الطويل ، والقليل به الكثير ، وعن الدنا وبالأولى عن القضا .
(١) من رام : من طلب . ما يعجز : أى ما يقصر عنه . طوقه : طاقته يقال طاقة وطوق بمعنى القوة . قال معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما لما حضره الموت :

إِنْ تَعَذَّبَ يَكُنْ عَذَابُكَ يَا رَبُّ غَرَامًا لَا طَوْقَ لِي بِالْعَذَابِ
أَوْ تَجَاوَزْ فَأَنْتَ رَبُّ عَفْوٍ عَنْ مَسِيءِ ذُنُوبِهِ كَالْتَرَابِ
والطوق أيضا فى غير هذا حلى يجعل فى العنق ، وكل شىء استدارفهو طوق
وقوله : ملعب : أصله من العب . فحذف النون والألف ووصل الكلام ،
والعب : الثقل ، وجمعه أعباء . آخز : رجع . المجزول : المقطوع ، والجزلة
من اللحم القطعة منه ، والمطا الظهر .
(٢) وقوله : إن أمر عني : أى قصد ، وقد يكون من العناء وهى المشقة ،
ويقال أيضا عنانى الأمر إذا لزمنى .

[المعنى] من قصد أن ينال ما لا طاقة له فى الحصول عليه ، وتجشم
أسبابه ، ومشقة السعى وراءه كان كالمثب لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ،
وعاد بجنى حنين مقطوع الظهر بالعبء الثقيل الذى لا يحمل ظهره مثله - وربما
كانت الرواية بالعب فينتفى التكلف مع استقامة المعنى والوزن ، ثم قال :
والناس الخ هو بمعنى قول القائل : وكل ألف لا يعد بواحد . يعنى ليست
الكثرة محل اعتبار الإنسان ، ومعقد عزه وعلو همته ومنيع فضله ، فقد
يقوم الفرد بما لا تقوم به الجماعة ، وينال من سمو المكانة ما تقاصرت عنه
زرافات الأفراد كسيد الخليقة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الكامل

وَالْفَتَى مِنْ مَالِهِ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ قَبْلَ مَوْتِهِ لَا مَا أَقْتَنَى^(١)
وَلِنَّمَا الْمَرْءُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى^(٢)

فما عمله الفرد للجماعة من إصلاح عجزت عنه الملايين ، وثقافة عليية عم فضلها وانتفع بها سائر سكان المعمورة شوقيون وغرييون ، شماليون وجنوبيون ، وكأقطاب الصحابة أمثال خالد بن الوليد ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، والامام علي بن أبي طالب ، وكأبي مسلم الخراساني في عهد العباسيين وكأبطال اليوم كصطفى كمال التركي وعصمت الكردي فكل واحد من ذكروا كليون أو يزيد إن غنى أهمهم أمر يستدعى ساسة مفكرين ، وقوادا ماهرين ، ورجالا مخلصين عاملين .

(١) قوله : اقتنى : أى اكتسب ، وقيل ادخر قال الله عز وجل : (وأنه هو أغنى وأقنى) أى أعطى ما يدخر .

(٢) قوله : لمن وعى : أى حفظ . يقال وعى يعى وعيا قال الله عز وجل : (وتعيها أذن واعية) ويقال وعى جمع وبهذا فسر الآية .

[المعنى] أن المال عرض زائل ، وظل حائل ، فليس يخلد منه إلا ما أنفق في عمل البر ونفع الناس بالطرق المشروعة السماوية ، والأرضاع الإلهية ، لا يضاف منه إلى صاحب اليد إلا ما بذله فيما يدوم نفعه ، ولا يضيع عند الجليل عوضه وأجره ، فما حرص عليه غير الباذل في البر من مال وعقار ، واقتناه من نتاج واستثمار ليس له ، وإنما هو حارس عليه يتنقل بعد موته غير مأسوف عليه لخلفه وكما بدد الخلف ما جمع السلف قال تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأن إلى ربك المنتهى وأنه هو أغنى وأقنى) .

إِنِّي حَلَبْتُ الدَّهْرَ شَطْرِيهِ فَقَدْ أَمَرَّ لِي حِينًا وَأُخْيَانًا حَلَا^(١)
وَفَرَّ عَن تَجْرِبَةِ نَابِي فَقُلْ فِي بَازِلٍ رَاضٍ الْخُطُوبَ وَأُمْتَضَى^(٢)
وَالنَّاسُ لِلْمَوْتِ خَلَا يَلْسُهُمْ وَقَلَّ مَا يَبْقَى عَلَى اللَّسِّ الْخَلَا^(٣)

(١) حلبت الدهر: أى جريته . شطريه: نصفه وهذا مثل ، وأراد بشطريه أول زمانه وآخره أو نعيمه وبؤسه . فلذلك ثناء تقول شطرت الشئ إذا جعلته نصفين فهذا صرف منه فعل ، وأما الشطر الذى هو القصد فلا يستعمل منه فعل قال الله عز وجل : (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى قصده وتلقاه .

(٢) قوله : وفر عن تجربة نابي : أى كشف عن أمرى وهذا مثل مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاهها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها ، والنايب الضرس الذى يلي الرباعية . راض الخطوب : أذلها يقال رضت الفرس إذا ذلته ، والبازل من الإبل الذى أتت عليه تسعة أعوام ، والخطوب الأمور النوازل واحداها خطب . وامتنى : الدابة ركبها وجعلها مطية .

[المعنى] أنى قتلت الزمان بحثا وتنقيا ، وحككته بمحك النظر والاعتبار وعرفت أوله وآخره ، ونعيمه وبؤسه ، وصفاءه وتقلبه ، فرة لذ وحلا ، ومرة بدا كقذى الشجا ، وإن رجلا كشف عن نابه الدهر فثبته أو أزاله لمجرب للأمور محك ، فقل ما شئت فى من هو كالجلل عمر وخبر وسبر وصبر على المشاق فأذل الخطوب ولم يمتط غير الصعاب .

(٣) الخلا : الحشيش الرطب . يلسهم : يأكلهم ، واللس : أن تأخذ الماشية الخلا الرطب بمقدم فيها يقال فى تصريفه : لست الدابة الخلا تلسه لسا فهى لاسة إذا أخذته بمقدم فيها ، وهذا مثل مضروب للموت والناس .

عَجِبْتُ مِنْ مُسْتَيْقِنٍ أَنْ الرَّدَى إِذَا أَنَّهُ لَا يُدَاوَى بِالرُّقَى^(١)
وَهُوَ مِنَ الْعَقْلَةِ فِي أَهْوِيَّةٍ كَخَابِطٍ بَيْنَ ظَلَامٍ وَعَشَا^(٢)
نَحْنُ وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ كَمَا قَدْ قِيلَ لِلْسَّارِبِ أُخْلِ فَأَرْتَمَى^(٣)

(١) مستيقن عالم، الردى : الهلاك قال عز وجل : (واتبع هواه فتردى) وتصريفه ردى يردى ردى . الرقى : جمع رقية .

[المعنى] أن الناس أمام الموت كالحشيش الأخضر أمام الحيوانات السوانم يتناولهم تباعاً لا يبقى ولا يذر لافرق لديه بين صغير وكبير ، وعظيم وحقير ، كما تناول البهائم بألسنتها هذا اللس فتقضمه قضماً ، وتهصره هصرًا ثم تزدرده كأن لم يكن أب وترعرع ، واخضر وفرع ، حتى تدع موضعه أجرد يراه الناظرون بعد حسن منظره أسود ، وإن عجبى ليزيد من ثيقن أن الهلاك رائده ، والفناء مصيره ، وأنه إذا حم القضاء وانتهى الأجل لم تنفعه الرقى ، ولم تدفع سطوته التأمم ، ثم لا يقبل فيه العوض وهو مع ذلك فى غفلة عما يعده لحياته المستقبلية الدائمة ، وروحه الباقية الخالدة ، وما الحياة الأولى إلا قنطرة للثانية قال تعالى (ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين) .

(٢) الأهوية الغامض من الأرض وهى الحفرة التى يضيق أعلاها ويتسع أسفلها . الخابط : الذى يمشى ليلاً بغير مصباح فربما وقع فى بئر أو سقط على شئ . وهو لا يدري أين يجعل رجله فيطأ كل شئ . وهو لا يراه . العشا : ضعف فى البصر يقال رجل أعشى وامرأة عشواء .

(٣) ولا كفران لله : أى ولا جحد لله والكفران والكفر واحد ، وأصل الكفر التغطية يقال كفر فلان النعمة إذا عرفها وكتمها ويقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته ، وسمى الزارع كافراً لأنه إذا ألقى البذر فى الأرض كفره أى غطاه قال الله عز وجل : (كمثل غيث أعجب الكفار نباته)

والكفار ههنا الزراع ، ويقال جاء فلان في ألف كافر يريد في ألف فارس ممن غطى عليه السلاح وسمى طلع النخل كافوراً لاستناره في أغطيته ، وأحسن ما قيل في قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» أى لا يتكفر بعضكم لبعض في السلاح . السارب : الظاهر بماله من الماشية وكل متصرف في حوائجه فهو سارب ، ومنه قول الله عز وجل (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) وقال الشاعر :

وكل أناس قاربوا قيد فخلهم ونحن حللنا قيده فهو سارب
قوله : فهو سارب أى ذاهب وقوله : أخلى : أى دخل في الخلاء وهو الحشيش الرطب ، كما يقال أظلم أى دخل في الظلام وأصبح دخل في الإصباح وأمسى دخل في الامساء ، وقيل أخلى صار في خلوة والتقدير على هذا نحن كهذا السارب الذى في خلوة . ارتمى : رعى .

[المعنى] أن الغافل عن مصيره المحتوم ، المقصر فيما يتخذة غدة لراحته في اليوم المعلوم ، كالذى وقع في هوة حقيقة فهو يظل يتمطى حتى يخرج من فوهتها حاسر الذراعين مكشوف الساقين خائر القوى ، متمدد العضلات ، ثم لا يكون سيره مع هذه الغفلة المنكرة إلا كسائر ليلا بلا مصباح في شدة الظلماء ، يخبط خبط العشواء ، فقلما نجا من سقططة مريضة ، وقد فات الوقت ولات حين مناص ، فشقى عليه الخلاص ، ونحن بلا شك صائرُونَ إلى الله عائدُونَ إلى محل الجزاء على ما قدمنا من عمل صالح أو طالح ، فإن خالق الإنسان في أحسن تقويم . وأبدع تصوير وإنشاء السموات وما فيه من الكواكب النيرة والنجوم الزواهر ، وإيجاد الأرض وما عليها من أطواد (٨ - ابن دريد)

إِذَا أَحْسَنَ نَبَأَهُ رِيحَ وَإِنْ تَطَامَنَّتْ عَنْهُ تَمَادَى وَلَهَا^(١)
كَثْلَةُ رِيْعَتٍ لِلْيَثِ فَانْزَوَتْ حَتَّى إِذَا غَابَ اطْمَأَنَّتْ أَنْ مَضَى^(٢)

وأنهار وبحار زواجر، لم يخلق الله الحكيم على أبداع مثال لهذا الأمد القصير، وما عيشنا على الأرض وحياتنا فيها لا نشعر إلا بالمفاجيء إلا كحالة السارب أعطيت له حرية الرعى في حشيش أخضر فتطامن ورتع حتى إذا أحس بهيمة أو نبأة ريع لها وفرع منها .

(١) أحس : يعنى السارب ومعنى أحس علم . النبأة : الصوت الخفى . ريع : فرع . اطمأنت : هدأت وسكنت ، وكذلك تطامت . تمادى : استمر ودام . ولها : غفل .

(٢) الثلة : بالفتح الجماعة من الغنم ، والثلة بالضم الجماعة من الناس ، قال الله تعالى : (ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ) . ريعت : فرعت . انزوت : انقبضت . الليث : الأسد وجمعه ليوث .

[المعنى] إن هدوء الغافل مهدد بما يريعه ويفزره فجأة ، فالغافل من بنى الإنسان عن مرضه وبؤسه ، وشيخوخته وموته ، يتفجع بمفاجأة النذير ، وطر وما غفل عنه كالحيوان السائب إذا أحس بالصوت الخفى لا يعرف مأتاه ، وقد تطامن في مرعاه ، لا يملك أن يضطر فرعا ، ويهيم على وجهه هربا ، حتى إذا غاب عنه الصوت الذى أفرعه عاد كما بدا ، فرعى ورتع ولها . ثم قال علامة الأزد : كثلة النخ أى أن الغافلين من بنى الإنسان الذين لا يتنبهون إلا بما يفاجئهم من حيث لا يقدرول له نظائر ، ولا يعتبرون بما تكرر من العثو . فى مهواة الحفائر ، كالغنم تذوب فرقا لمرأى الأسد ، فإذا غاب عن ناظرها اطمأنت ، ثم لم تقدر لجهلها أن يعود فلا تحتاط فيأخذها على غرة هوجاه ، ثولام ، طعمة باردة .

نَهَالٌ لِلْأَمْرِ الَّذِي يَرُوعُنَا وَنَزَعَتْنِي فِي غَفْلَةٍ إِذَا انْقَضَى ^(١)
 إِنَّ الشَّقَاءَ بِالشَّقِيِّ مُوَلِّعٌ لَا يَمْلِكُ الرَّدَّ لَهُ إِذَا أَتَى ^(٢)
 وَاللَّوْمُ لِلْحُرِّ مُقِيمٌ رَادِعٌ وَالْعَبْدُ لَا يَرُدُّعُهُ إِلَّا الْعَصَا ^(٣)

(١) نهال : نفزع والهلول الفزع . الروح : أيضاً الفزع ، فيروعنا يفرعنا
 نزعتني : أي نزعي ومنه قوله تعالى : (نوتع ونلعب) . في غفلة : أي ترك
 لما كنا فيه في الفزع . انقضى : ذهب وفرغت مدته .

(٢) الشقاء : والشقوة واحد ومنه قوله عز وجل : (قالوا ربنا غلبت علينا
 شقوتنا) ويقرأ شقاوتنا . المولع : المغمم بالشئ . الملازم له لا يكاد يفارقه .
 لا يملك الرد له : أي لا يملك الدفع والصرف .

[المعنى] إن الإنسان تعود ألا يفزع إلا حين يداهمه المفزع ، ثم لا يلبث
 أن ينسى هذا الذي أقض مضجعه ، وأتعب مشاعره ، فيسبح مرة وألف مرة
 في ضاجير الغفلة كأن لم يكن أصيب بما يدمى القلوب ، ويسيل الأعين . ثم
 قال ما يصلح مثلاً : إن الشقاء بالشقي مولع الخ يعني أن سوء الحظ ، ونحس
 الطالع ، يلزم صاحبه الغي الجاهل ، والمستهتر الغافل ، الذي فقد الجهد والنشاط ،
 ولم يتنبه بتتابع الحوادث ، ونزول الكوارث به أو بغيره ، حتى إذا أثر عليه
 وقعه لم يملك دفعه ولا رده ، حيث تعدت به همته عن مقارعة الزمان ،
 ومجالبة الحدثان ، وقد فاته حسن الاعتماد على الله الذي لا يضيع أجر من
 أحسن عملاً .

(٣) اللوم : بالفتح من الملامة وهو الذم والشتيم . واللوم بالضم الشح
 ومهانة النفس ودناءة الآباء . الخس : الخالص من كل شئ . مقيم : أي مصلح
 ما كان فيه . رادع : كاف يقال ردعته فاردع أي كففته فانكف ، والرداع
 وجع في الجسد قال الشاعر :

فيا عجبا وعاودني رداعي وكان فواقي ليسلي كالخناع

وَأَفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هَوَاهُ عَقَلَهُ فَقَدْ نَجَا^(١)

والرداع أيضا الغضب قال الشاعر :

بركت على ماء الرداع كأنما بركت على قصب أجش مهضم .
وقيل الرداع في هذا البيت اسم ماء بعينه يعرف به ذلك الموضع والعبد لا يردعه إلا العصا : أى لا يردعه عن السوء إلا العصا .

(١) وآفة العقل : مضرته ومفسدته . الهوى : الشهوة والإرادة . فمن علا : أى فمن ارتفع . على هواه : أى على شهوته وإرادته . فقد نجا : أى فقد سلم .
[المعنى] إن شريف الإحساس أبى النفس كريم المحتد إذا هفأ لم تصلحه الإهانة ، وإنما يقيم معوجه نوع من اللوم يتناسب مع ماله من مكانة وكرامة ، وهو أحز في نفسه من أن يجلد بالسياط ، أما ساقط الهمة دنيء النفس الذى لا ينجل بما يشين ، فهذا إنما يقيم معوجه ويصلح ثأبه ضرب من الإهانة يتفق وما فعل ، ولهذا كله جاء المثل .

العبد يقرع بالعصا والحسرتكفيه المقالة

ثم جمع علامة الأزد جماع الخاق في قوله : وآفة العقل الهوى الخ يعنى أن العقول تمرض كالآجسام فكما أن السقم إذا حل بالجسم أضناه وذهب بنضرتة وحسن روائه فكذلك العقل تضعيع آثاره ، ويذهب صلاحه ، ويعدم نفعه إذا غلبته الشهوة ومال عنه صاحبه إلى ما تفعله البهائم ، لا يقدر عرضا ، ولا يحترم ملكا ، ولا يتبع نظاما ، ولا يحذر عقابا ، ولا يعتمد حسابا ، ومن أظلم من اتبع هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ١١١٩ ذلك هو السر في خسران الشعوب الشرقية ، وتأخر الأمم التى تعدد نفسها إسلامية ١١١ ثم قال : فمن علا الخ يعنى أن من غلب سلطان العقل على سلطان الشهوة فقد نجا من درك الاضططال الخلقى

كَمْ مِنْ أَخٍ مَسْخُوطَةٍ أَخْلَاقُهُ أَصْفَيْتُهُ الْوُدَّ لِخَلْقٍ مُرْتَضَى ^(١)
إِذَا بَلَوْتَ السَّيْفَ مَحْمُودًا فَلَا تَذُمَّهُ يَوْمًا أَنْ تَرَاهُ قَدْ نَبَا ^(٢)

والاقتصادى معا ، وتقدم تقدما مطردا محسا ، يبارى الشمس فى وقت الظهيرة ، وما العالم الغربى المتقدم لأنه أسير عقله عنا ببعيد .

(١) قوله مسخوطة : من السخط وهو ضد الرضى فغنى مسخوطة غير مرضية . أخلاقه : طباعته : أصفيته الود : أى أخلصت له الود . لخلق مرتضى : أى لحلة واحدة مرضية منه . المرتضى : المستحسن .

(٢) بلوت : اختبرت قال الله عز وجل : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وقوله أن تراه قد نبا : أن فى موضع نصب لأنه مفعول به ، وقيل هو مفعول من أجله والتقدير فلا تذمه يوما من أجل أن تراه قد نبا ، أى من أجل رؤيته نابيا ، ونبا ارتفع عن المضروب ولم يقطع فيه شيئا .

[المعنى] كثير من الإخوان أخلصت لهم ودى ، والنلت لهم جانبى ، لما قدرته فيهم من بعض مكارم خلال حسنة ، وأخلاق مرضية ، مع ما لهم من مثالب أخرى ونقائص يجب التغاضى عنها متمثلا بقول الحكيم :
من الذى ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

إذا أنت عاتبت الصديق على الأذى تعبت ولم تلق الذى لا تعاتبه
ثم أكد هذا المعنى بقوله : إذا بلوت السيف الخ يعنى إذا ثبت لك بالاختبار جودة السيف وأنه من جوهر صاف حاد صارم ، فلا تعب يوما إذا صوبته للقطع فنبأ وطاش عن إصابة الغرض ، أو وصل ولم يقطع . فان هذا لا يعيبه ، فربما كان عدم تأثيره لقوة المضروب ، وكذلك سديقك إذا كلفته

وَالطَّرْفُ يَحْتَازُ الْمَدَى وَرُبَّمَا عَنْ لِمَعْدَاهُ عِثَارٌ فَكَبَاً^(١)
 مِنْ لَكَ بِالْمَهْذَبِ النَّدْبِ الَّذِي لَا يَجِدُ الْعَيْبُ إِلَيْهِ مُخْتَطًى^(٢)
 إِذَا تَصَفَّحْتَ أُمُورَ النَّاسِ لَمْ تُلَفْ أَمْرًا حَازَ الْكَمَالَ فَكَتَفَى^(٣)

يعمل لك - وهو لك مخلص - فلم ينجز مطلوبك فالتمس له العذر ، فقد عمل المستطاع :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب
 (١) الطرف : الكريم من الخيل . يحتاز : أى يجوز . المدى : الغاية . عن :
 عرض . لمعدها : أى لعدوه ، وعدوه جريه ، عثار : مصدر عثر يعثر عثاراً إذا
 كبا . كبا : سقط لوجهه .

(٢) المهذب : العاقل الظريف ، وقيل المهذب المخلص . النذب : الرجل
 الخفيف فى الحاجة ، وقيل النذب الذى ينتدب للمكارم ، وقيل النذب
 المندوب لكل حاجة حسن تصرفه فيها ، وقيل النذب الذى قد عركه الدهر
 فحسن أخلاقه . مختطى : أى عمشى وهو من خطأ يخطو إذا مشى .

[المعنى] إن الجواد الكريم يكو ، والسيف الصارم الصقيل ينبو ،
 وليس يعيب كلا منهما أن يقال كبا الجواد فى بعض عدوه ، أو نبا السيف
 فى بعض أحيان قطعه ، مادام هذا الطرف يحتاز الغاية ، وذاك السيف يأتى على
 النهاية ، ومثلهما الإنسان ، ثم قال : من لك بالمهذب الخ يعنى أى شخص من
 بنى الإنسان لا يجد العيب إليه سبيلا سوى الأنبياء المعصومين صلوات الله
 عليهم ١٩ يريد لا يمكن أن تعثر على المبرر من كل عيب عداً .

(٣) إذا تصفحت أى نظرت . التصفح : النظر فى خلال الشئ . لم تلف :
 لم تجد . حاز : حوى الكمال : التمام يقال أكلت الشئ إذا أتمته وقوله :
 فاكتنى : أى اجتزأ به تقول كفانى الشئ بكفينى أى أجزأتى .

عَوَّلَ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ إِنَّهُ أَمْنَعُ مَا لَآذَ بِهِ أَوَّلُو الْحِجَا^(١)
وَعَطَفَ النَّفْسَ عَلَى سَبِيلِ الْأَمَا إِذَا اسْتَفْزَرَ الْقَلْبَ تَبْرِيحُ الْجَوَى^(٢)
وَالْدَّهْرُ يَكْبُو بِالْفَتَى وَتَارَةً يُنْهَضُهُ مِنْ عَثْرَةٍ إِذَا كَبَا^(٣)

(١) عول على الصبر : أى ارجع إليه واعتمد عليه . إنه أمنع : أى أحمى وأقوى . لآذ : لجا وركن واستتر . الحجا : العقل ، فأولو الحجا أولو العقول .
(٢) وعطف النفس : ردها . سبل : طرق واحدها سبيل . الأسا : التصبر .
إذا استفز : استخف . التبريح : الشدة وجمعها تباريح . الجوى : مقصور مفتوح الجيم فساد الجوف ، يكتب بالياء لأنه يقال جوى يحوى جوى ، ويروى تبريح الأسا بفتح الهمزة الحزن .

(٣) والدهر يكبو : أى يعثر يقال كبا يكبو بمعنى عثر يعثر . وتارة : أى مرة وحيناً . ينهضه : يقيمه . إذا كبا : سقط وعثر ، والمصدر كبوة واسم الفاعل كاب .

[المعنى] إذا تتبعته أحوال الناس لم تجد من رضى بحالته واكتفى بما وصلت إليه يده وإن كان قد حاز الغاية بل تلفيه اعتبرها بداية لما ليس له لدى أطماعه نهاية ، فاعتمد الصبر الجميل ، والشكر الجزيل والرضا بالقليل ، بله الكثير ، فإن ذلك أجمل بالعاقل ، وأقوى ما نذرع به كامل ، أما أنك تسير وراء طلباتك ، فلا انقضاء لحاجاتك ، وقد انفتح باب المتاعب على مصراعيه ، وفي هذا يقول المخضرم :

وللدم كم تنقضى حاجة وتبقى له حاجة ما بقى

تموت مع المرء آماله وحاجة من عاش لا تنقضى

أشباب الصغير وأفنى الكبير كمر الغداة ومر العشي

وما أجمل أن تعطف النفس وتمودها على ملوك سبل التصبر ، وترغبها

لَا تَعْجَبَنَّ مِنْ هَآلِكَ كَيْفَ هَوَىٰ بَلْ فَأَعْجَبَنَّ مِنْ سَالِمٍ كَيْفَ نَجَا^(١)
 إِنَّ نُجُومَ الْمَجْدِ أُمْسَتْ أَفْلًا وَظِلُّ الْقَالِصِ أَضْحَىٰ قَدْ أَزَىٰ^(٢)
 إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَنَاسٍ بِهِمْ إِلَىٰ سَبِيلِ الْمَكْرُمَاتِ يُقْتَدَىٰ^(٣)

على تحمل بعض غضاضة الحياة إذا ضقت ذرعا بأمر ، واستفز القلب ما ألهبه من جوى ، فإن الناسى علاجه ، وبه يكون شفاؤه ، ولا يأس مع الحياة ، كما لا حياة مع اليأس ، فإن الدهر يسقط بالفنى تارة إلى الحضيض ، وتارة يسعده ويصعده إلى ذروة الكمال ، فلا تدوم العثرة ، ولا تبقى الكبوة .

(١) هوى : سقط يقال منه هوى يهوى هويًا . نجا : خلاص .

(٢) المجد : الشرف . الأفل : الغيب ، والواحد آفل يقال أفل أفولا إذا غاب قال الله عز وجل : (فلما أفل قال لأحب الأفلين) القالص : المرتفع وفرس قالص طويل القوائم . أزى : قصر وتقبض .
 (٣) يقتدى : يتبع فعملهم .

[المعنى] ليس بعجيب أن ترى من خلق للفناء ، واستحال عليه الخلود والبقاء بفنى ويهلك ، أو يهوى فى هوة نصب أو مرض مؤلم يقض المضاجع ، إنما العجيب أن ترى سليما من هذا أو ذاك ، فإنما خلقت الدنيا وأهلها للزوال وقدمانه ، وحدثان الزمان وعاديته ، فليس يسلم نوعا ما إلا من اعتدل فى سيرته وسيره ، وقلل من المغامرات فى سره وجهره ، وقد تدانت وتقاصرت مراتب العلا والمجد والشرف ، فأفلت نجومها ، وتحجبت عن الأعين أضواؤها ، وزال ظلها إلا من أناس هم للسكرات كطر السماء ، ونجوم الاهتداء ، محل ثنائى ومدح جميع الخلق معى .

إِذَا الْأَحَادِيثُ انْتَضَتْ أَنْبَاءُ هُمْ كَانَتْ كَنْشَرِ الرَّوْضِ غَادَاةُ السَّدَى^(١)
لَا يَسْمَعُ السَّامِعُ فِي مَجْلِسِهِمْ هُجْرًا إِذَا جَالَسَهُمْ وَلَا خَنَا^(٢)

(١) قوله : الأحاديث انتضت : أى أظهرت وهو من نضا الشيء ينضو إذا ظهر ، ويروى اقتضت بالقف أى طلبت الأحاديث أخبارهم . الأنباء : الأخبار واحدا نبأ . النشر : الرائحة الطيبة . الروض : الموضع الذى يكون فيه ضروب من النبات فيكون فيه أنواع النور ، وهو جمع روضة فإن كان فيه شجر فهو حديقة . غاداه : باكره ، وهو من الغدو يقال غاداه يغاديه مغادة إذا صبحه بالغدو . السدى : الندى فى هذا الموضع وهو المطر ، وقيل السدى ما نزل فى أول الليل والندى آخر الليل ، وقال ابن الأنبارى : السدى والسقى والندى فى معنى واحد يقال أرض سدية وسقية وندية ، قال الفراء وكلهن يكتبن بالالف والياء ، قال الأصمعى يقال سديت الأرض إذا نديت ، من السماء كان الندى أو من الأرض . قال ابن حبيب الندى ما كان من السماء والسدى ما كان من الأرض .

(٢) لا يسمع السامع فى مجلسهم هجراً . الهجر بضم الهاء : القبيح من القول وكذلك الخنا ، وربما كان الخنا فى الفعل يقال قد أخنى الرجل فى منطقه وفعله يخنى .

[المعنى] إذا أظهرت الأحاديث أخبارهم كانت ذكراهم الطيبة ، وما أثرهم الحسنة ، كنشر أزهار الرياض العطرة المترعرع نبتها بين ظل الندى ، وتضوع ريا المسك الذكى ، وهم أناس يهاب مجلسهم عن أن يدنس بكلمة تخرج عن حد اللباقة ، أو تنبو عن شريف الأدب ، أو فعل يعيب ويشين ، ويقبح ولا يزين .

مَا أَنْعَمَ الْعَيْشَةُ لَوْ أَنَّ الْفَتَى يَقْبَلُ مِنْهُ الْمَوْتُ أَسْنَاءَ الرُّشَا (١)
 أَوْ لَوْ تَحَلَّى بِالشَّبَابِ عُمُرُهُ لَمْ يَسْتَلِبْهُ الشَّيْبُ هَاتِيكَ الْحُلَى (٢)
 هَيْهَاتَ مَهْمَا يُسْتَعْرَ مُسْتَرْجَعٌ وَفِي خُطُوبِ الدَّهْرِ لِلنَّاسِ أَسَى (٣)

(١) قوله : ما أنعم العيشة : أى ما أطيبها والعيشة الحياة . أسناء الرشا : أرفعها وأعلاها وواحد الأسناء سئ بالتشديد وأصله الهمز لأنه من السناء الذى هو الرفعة والشرف ، لكن من شدد أبدل الهمزة ياء من أجل الياء التى قبلها وأدغم الياء الأولى فى الثانية على الأصل المستعمل فى الهمزة المتحركة التى قبلها ياء زائدة أو واو زائدة كسنى وضوء ، فالأسناء بالمد جمع سنى مثاله أيتام ويقيم ، وهذا المثال من الجمع لفعل إنما يكون قليلا فى الصفات لا فى الأسماء ، كما أنه قليل إذا أتى جمعا لفاعل نحو صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد ، والرشا جمع رشوة وهى العطية التى يحاى بها الإنسان أى يخص ، والمرأشة المحابة وقيل رشا الهدايا لمن يخاف منهم مثل الحكام ونحوهم .

(٢) تحلى بالشباب : لبسه وتزيا به . لم يستلبه : لم يجرده . هاتيك : بمعنى تلك . الحلى : جمع حلية .

[المعنى] ما ألد الحياة مع العيشة الهنيئة لو قبل الموت الفداء الغالى فلا يفنى الحى وتنزع روحه انتزاعا قسريا III بل ما أطيبها نسياناً لو تزين وتحلى عمر الفتى بشبابه الغض ثم لم يسلبه الشيب هذه النظرة وهاتيك الحلى ١٩ ومقصود علامة الأزدي : ما قيمة حياة آخرها فناء وموت وهلاك وشباب غضض نضر ، وقوة نادرة آخرهما شيب ووهن وهرم ١٩ نعم لاقية للملك يزول ، وهناءة لا تبقى .

(٣) هيهات : بمعنى ما أبعد قال الله عز وجل حكاية عن الكافرين : (هيهات هيهات لما توعدون) . مهما يستعمر : أى ما يستعمار لانه لمعيره أن يأخذه . مسترجع : مردود . خطوب الدهر : أموره . الأسى : جمع أسوة وهى ما يتأسى به الإنسان عما ينزل بغيره أى يقتدى به ويتعزى به فيتصبر .

وَفَتِيَّةٍ سَامَرَهُمْ طَيْفُ الْكَرَى فَسَامَرُوا النَّوْمَ وَهُمْ غَيْدُ الطَّلَى^(١)

(١) فتية : جمع فتى . سامرهم : حادّهم ليلا ، والسمر الحديث بالليل يقال من ذلك سمر يسمر فهو سامر ، ولا يقال سمر بالنهار ، وقولهم : هذه كتب السمر أى كتب الأحاديث التى يتحدث بها ليلا ، وقيل معنى كتب السمر أى كتب الدهر ، والعرب تقول لا أفعل ذلك ما سامرا بنا سمير أى ما اختلف الليل والنهار ، والسمار المحدثون واحدهم سامر ، والسامرى منسوب إلى سامرة وهى بلدة . الطيف : ما يراه الإنسان فى المنام من خيال من يحبه الكرى : النوم . الغيد : جمع أغيد وهو الناعم ، قيل المائل العنق ، وقيل المائل المثنى نعمة . الطلى : الأعناق .

[المعنى] بعدت كل البعد لذائد الحياة ودوام نعيم الشباب ، وما الحياة والشباب والفتوة إلا نعم مستعارة إلى أجل ، وودائع مرهونة بأوقاتها ، ولا بد يوما أن ترد الودائع ، كما يقول الحكيم العربى :
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع
وقال غيره يرثى الأندلس :

لكل شئ إذا ماتم نقصان فلا يغر بطيب العيش لإنسان
هى الأمور كما شاهدتها دول من غره زمن ساءته أزمان
وفى حدوث خطوب الدهر ونكباته التى لا تزال تتابع فتصيب الهدف
ولا تخطئ أعظم أسوة ، يتصبر بها من لفتح بحرها بمن أحرقة لهاها ،
وشواه لظاها ، فيسهل عليه وقعها ، ويخف على متته عبؤها ، والصبر أجمل
ما يكون من الفتى . وقول العلامة :

وفتية أى ورب فتية زارهم طيف خيال من يحبون فى نومهم فسامروا
النوم بحديثهم العذب الشهى وهم مائلو الأعناق الناعمة الحسنة الرشيقة يحيونه
بميلها حسما يهوى منهم ويجب .

وَاللَّيْلُ مُلْقٍ بِالْمَوَامِي بَرْكَهٖ وَالْعَيْسُ يَنْبُثُنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا^(١)
بِحَيْثُ لَا تُهْدَى لِسَمْعِ نَبَاةٍ إِلَّا نَثِيمُ الْبُومِ أَوْ صَوْتُ الصَّدَى^(٢)

(١) الموامى : جمع مومة وهى القفر . البرك : الصدر . ينبثن : يخرجن
النبث والنيثة التراب الذى يخرج من البئر والنهر ، والجمع النبات . العيس :
البيض من الإبل الواحد عيس والاثني عيساء . أفاحيص القطا : أوكارها
واحدها أخوص وقيل أفاحيص القطا : المواضع التى تفحصها بصدورها للبيض
أى توسعها .

(٢) النباة : الصوت الخفى . نثيم البوم : صوته ، والبوم الهام . الصدى :
ذكر الهام .

[المعنى] والحال أن الليل الذى صدره على البطاح والقفار أى أسدل
ظلامه ، والإبل البيض سائرة فيها تخرج بأخفافها القطامن أوكارها عند إحساسها
بضغط قوائمها المحملة بالعبء الثقيل ، وهو وقت يحلوفيه الحذاء لتجد الإبل فى
مسيرها ويلذ السمر لينسى الرحل المسافرين وعورة الطريق ومشقة السفر ، وفى
هدوء الصحراء أثناء السرى لا يصل إلى السمع إلا نثيم البوم وهو الحيوان
الذى يشبه وجهه وجه الإنسان ولا يبصر نهارا وإنما يطلب معاشه ليلا ، والعرب
فى جاهليتها تتشام بصوته حيث لا يصوت إلا فى الأماكن الخربة ولا يأوى
فى الغالب إلا إليها ، وسرت هذه العقيدة عند عامة المصريين فى القرى حتى إذا
أوت إلى سطح دار جعلوا جعلاً لمن يصيدها أو يقتلها تخلصاً من تصويتها
عليه المؤذن بالخراب - أو صوت الصدى وهو رجع الصوت عند النداء
أو الغناء فى الأماكن الواسعة الأرجاء أو المسورة أو ذكر البوم كما نقل
الشارح عليه الرحمة والرضوان .

شَايَعْتُهُمْ عَلَى السَّرَى حَتَّى إِذَا مَالَتْ أَدَاةُ الرَّحْلِ بِالْجَبَسِ الدَّوَى^(١)
 قُلْتُ لَهُمْ إِنَّ الْهُوَيْنَا غِيْهَا وَهَنْ فَجَدُوا تَحْمَدُ وَغَيْبَ السَّرَى^(٢)
 وَمَوْحِشِ الْأَقْطَارِ طَامٍ مَّاوُهُ مُدَعَّرِ الْأَعْضَادِ مَزُومِ الْجَبَا^(٣)
 كَأَنَّمَا الرَّيْشُ عَلَى أَرْجَائِهِ زُرْقُ نِصَالٍ أَرْهَفَتْ لِيَتَمَتَّى^(٤)

- (١) شايعتهم : تابعتهم على رأيهم في سير الليل . السرى : سير الليل .
 أداة الرحل : حوائج الرحل وهو عيدانه وقطع الأكسية والبرذعة . الجبس :
 الرجل الثقيل . الدوى : اللاحق يريد بذلك أنه كان نائماً فالت به أداة الرحل .
 (٢) الهوينا : الرفق في السير وقيل مشية فيها فتور . غيب السرى : عاقبته ،
 والوهن : الضعف . فجدوا : أى فاجتهدوا من قولهم جد يجد إذا اجتهد .
 [المعنى] وقد وافقتهم على المسير ليلاً لأنه في الصحراء زمن الهجير
 وقت جد ونشاط ، حتى إذا ثقل النوم على رأس الرجل الضخم البدن ومال
 الرحل به وضعف المسير ناديت فيهم قائلاً : إن السير البطيء والمشى الهوينا
 يحدث ضعفاً للراكب والمركوب فجدوا في المسير عنقا فسيحاً ، فتحمد
 عاقبة مسرانا ونستريح ، ومن جد وجد ، والعمل سبيل الراحة .
 (٣) قوله : ومَوْحِشِ الْأَقْطَارِ : يعنى بترأ أو حوضاً ، والمَوْحِش ضد
 المؤنس ، لأن الوحشة ضد الأانس فتفسير مَوْحِش : بعيد العهد بالانس . الْأَقْطَارُ :
 النواحي واحداً قطر . الطامى المرتفع . مدعَّر : مهدوم . الْأَعْضَادُ : ما حواليه
 من صفائح الحجارة التي تعضده أى تشده وتقويه واحداً عضد . الجبا :
 بفتح الجيم ماحول البئر والحوض ، والجبا أيضاً الحوض الذى يجي فيه الماء .
 (٤) على أَرْجَائِهِ : أى نواحيه وواحد الأرجاء رجبى مقصور . زُرْقُ
 نِصَالٍ : أى يبيض نصال فالزرق البيض ، والنصال جمع نصل وهى السهام ،
 وواحد السهام سهم . أَرْهَفَتْ : أى رقت . تَمَتَّى : تسقى بالماء تقول امتهى

وَرَدَّتْهُ وَالذَّبُّ يَعْوِي حَوْلَهُ مُسْتَكْسِمُ السَّمْعِ مِنْ طُولِ الطَّوَى^(١)
وَمُشْجٍ أَمْ أَيْهِ أُمُّهُ لَمْ يَتَخَوَّنْ جِسْمَهُ مَسُّ الضَّوَى^(٢)

الحداد السكين أى سقاه بالماء ، وقيل معنى أرهفت ها هنا استلت عن كنانتها أى خرجت عن كنانتها ، وتمتلى أى تحدد ، وهذا موافق لقول امرئ القيس :
رأسه من ريش ناهضة ثم أمتها على حجره
[المعنى] وكمن من بر موحد النواحي ، مخوف الأرجاء ، مرتفع ماؤه ،
مبعثر ما حوله من صفائح الحجارة ، مبعده حوضه الذى يجبى فيه ما يخرج منه
الماتح من ماء وكأنا ريش الطير المبعثرة على نواحيه وأرجائه نصال زرق
أخرجت من كنانتها واستلت أشعارها وردته ليلا ونهلت منه بلا خوف
يدرك قلبى أو وجل يقعدنى .

(١) قوله : وردته : يعنى وردت هذا الماء فالهاء عائدة على الماء فى قوله
طام ماؤه ومعنى . يعوى : يصيح من الجوع . مستك : ضيق سم السمع
والاستكاك الصمم ، والسم الثقب ، وسم كل شئ ثقبه قال الله عز وجل :
(حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى فى ثقب الخياط الطوى : الجوع
والطوى أيضاً خمص البطن وهو ضموره .

(٢) قوله : ومتشج : فيه قولان أحدهما أن يكون مفتعلا من النجوة وهو
المكان المرتفع فيكون الأصل فيه منتجوا فوقعت الواو فى موضع حركة
وقبلها مكسور فسكنت وقلبت لكسرة ما قبلها فصارت ياء ساكنة دخل
عليها التنوين فسقطت لالتقاء الساكنين وهذا الوجه الصحيح ، والثانى وهو
الوجه الضعيف أن يكون منتج مفعلا من التاج فيكون غلطاً فى اللغة لأنه
إنما يقال نتجت الناقة ونتجها أهلها فمحال أن يأتى من الثلاثى اسم المفعول
على مفعول ، وإنما يكون على مفعول كما يقال ضرب فهو مضروب ، وإنما يأتى
على مفعول من الزباعى كقولك أكرمه فهو مكرم غير أن أبا إسحاق الزجاج

أَفْرَشْتُهُ بِنْتَ أَخِيهِ فَأَثْنَتَ عَنْ وَلَدٍ يُورَى بِهِ وَيَشْتَوَى ^(١)

حكى أنه يقال تنجت الناقة وأنتجت بمعنى واحد فهو على هذا جائز ، وإنما ضعفناه بما حدثنا به أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس قال سمعت علي بن سليمان يقول : تنجت الناقة إذا ظهرت تاجها ولا يعرف لها فعل غير هذا ، ومتج على القول الأول اسم فاعل وعلى القول الثاني اسم مفعول ومعنى البيت على هذا : رب غصن مولود وهو على الاستعارة ثم قال : أم أيه أمه : يحتمل هذا وجهين يجوز أن يريد بأم أيه التي هي أمه الأرض فكأنه رصف غصناً نبت من غصن قطع من شجرة فالأرض أم الشجرة وأم الغصن الذي نبت منه الغصن الثاني الذي هو أبو الغصن الأول ، ويحتمل أن يريد غصناً قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع ، والفرع جعله للغصن بمنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنه منها فصارت أما لأبيه وأما له ، وقوله لم يتخون : أى لم يتعاهد ، يقال فلان يتخاونه الخبل يتعاذه والتخون أيضاً التنقص ، ويروى لم يتخور جسمه بالراء وهو من الخور ، والخور الضعف ، يقال خار الرجل يخور خوراً إذا ضعف وهو بالخاء المعجمة واسم الفاعل خائر وخوار يريد أن الغصن الذي ذكره لم يتعاذه الضعف والرقه . الضوى : الهزال ، ومنه غلام ضاو وجارية ضاوية .

(١) قوله : يورى به : أى يستضاء به ، وذكر الضمير فى به لأنه راجع على الولد والولد مذكر . ويشتوى : أى يشتوى به يقال شويت اللحم واشتويته .

[المعنى] وردت هذا البئر الموحش الفاقد كل مؤنس وقد عوت الذئاب حوله من كل جانب بأصوات منكرة مزيفة وهى صماء من طول طواها وفرط جوعها لخلو المكان مما تجد به غذاءها ، والذئاب إذا فرط جوعها

وَمَرْقَبٍ مُّخْلَوِّقٍ أَرْجَاؤُهُ مُسْتَصْعَبِ الْمَسْلَكِ وَغَرِ الْمُرْتَقِ^(١)

بكت وعوت ، وتجمعت حول بعضها . ثم تنساب جيشا عرمرما كسيل الوادى انحط من قلال الجبال لا تتردد فى الهجوم على ماتراه من أى حيوان حتى إذا لم تجد من تفتسه أكل بعضها بعضا :

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وكنى بذلك عن عظيم جراته ، وثبات قلبه وفرط شجاعته حتى يرد الماء المنوط بالضواري بلا فرع أو تردد . ثم قال : ومنتج الخ أى وكم منتج أى فرع شجرة مرتفع صعب المرتقى ضخم غليظ الساق لم يمسه الهزال فيضممر قطعته من أم شجرته ، وقد مزقته إربا إربا ، ثم أفرشته أى جعلت فراشه فى حفرة الشواء بنت أخيه أى الأغصن الرقيقة الرفيعة فبانت بعد إيقاد النار عن ولد يورى به أى يستضاء بلهبه المرتفع المشتعل فيهما ويهتدى به ويشتوى أى يشوى على جمرة لحم الذبائح للرفقة والوافدين على الشواء الطالبين الرغد . ومعنى أم أيه أمه : أنه فرع غصن أكبر منه أصلهما شجرة واحدة فهى أمهما . ومعنى بنت أخيه : رقيقات الغصون التى تجعل شعلة للنار تحت الأغصن الكبيرة الغليظة فكل فرع رقيق ابن للغصن الكبير المتصل به . ومعنى فأنثت عن ولد : عن لهب تولد من شعلتها ، وفيه من الاستعارات البديعة ، والكنايات الطريفة ما فيه . وأرى الحل على هذا المعنى قريبا إلى الواقع .

(١) المرقب : الموضع العالى الذى ينظر منه إلى بعد . المخلوق : الأملس أرجاؤه : نواحيه . المستصعب : الصعب . المسلك : الطريق وجمعه مسالك ويروى مستصعب الأقذاف ، والأقذاف النواحي واحدها قذف . وعر : صعب . المرتقى : المصعد ، ويروى وعر المرتبى أى الموضع العالى الذى يرتبى إليه أى يرتفع فيه ويصعد عليه وهو من ربا يربو إذا ارتفع ، والربوة الأرض المرتفعة ، وفيها أربع لغات ربوة وربوة وربوة وربوة والجمع الربى وقوله

وَالشَّخْصُ فِي الْآلِ يُرَى لِناظِرٍ تَرْمُقُهُ حِينًا وَحِينًا لَا يُرَى ^(١)
أَوْفَيْتُ وَالشَّمْسُ تَمُجُّ رِيْقَهَا وَالظِّلُّ مِنْ تَحْتِ الْحِذَاءِ مُحْتَذَى ^(٢)

عز وجل : (وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناها إلى ربوة ذات قرار ومعين)
قال قوم من العلماء إنها دمشق ، وقال قوم إنها بيت المقدس ، وقال قوم هي
فلسطين ، وقال قوم هي مصر .

(١) الشخص : هو الشيء المرتفع مأخوذ من شخص إذا ارتفع . الآل :
السراب . ترمقه : أى تنظره . حينًا : وقتًا .

(٢) أوفيت : أى أتيت ووصلت . الشمس تمج ريقها : أى تلقيه وريقها
لعابها ، ولعاب الشمس إنما يكون في وقت الظهيرة وهو وقت أشد ما يكون
فيه الحر فيتبين في ذلك الوقت في الشمس مثل نسج العنكبوت خفي يقال له
لعاب الشمس وريق الشمس ولا يكون لشيء في ذلك الوقت ظل إذا كانت
الشمس في وسط السماء ومعنى قوله : والظل من تحت الحذاء محتذى ، الحذاء :
النعل ومحتذى ملصق يقول فالظل تحت النعل كأنه قد حذى معها يريد أن
ظل الانسان قد صار نعل الحذاء النعل أى بقبالته من تحت محاذيا له .

[المعنى] وكما من مكان صعب المرتقى ، وعز المسلك ، أملس النواحي ،
أو منقطع النواحي كالثوب الخلق ، وهو نجوة في سفح جبل ، أوفيته وصعدت
عليه لأرقب الطريق والطراق ، والحال أن الشخص في السراب المضطرب
وقد ذاك قد يرى وقتا ووقت لا يرى ، والشمس في وقت الظهيرة والهجرة
تشوى الوجوه بلهبها ووهجها المتوقد تراها تمج ما يشبه نسج العنكبوت
الدقيق الخفى في وقت الهجير وحين الزوال ، وفي ذلك الحين ترى ظل الشخص
أضحى ولا أثر له محاذيا للشراك كأنه للنعال المحتذى .

وَطَارِقٌ يُؤْنِسُهُ الذَّنْبُ إِذَا تَصَوَّرَ الذَّنْبُ عِشَاءً وَأَنْصَوَى^(١)
أَوَى إِلَى نَارِي وَهِيَ مَأْلَفٌ يَدْعُو الْعُقَاةَ ضَوْءَهَا إِلَى الْقِرَى^(٢)

(١) الطارق : الذى يجيئ بالليل ولا يكون الطارق نهاراً . تصور : صباح من الجوع ، والتصور الصباح من الجوع . يقول إن هذا الطارق يؤنسه تصور الذنب وعواؤه ليأسه من سماع الأصوات فلما يش من سماع أصوات بنى آدم أنس بصوت الذنب .

(٢) قوله : أوى إلى نارى : أى انضم إلى نارى تقول أويت إلى فلان بغير مد على وزن فعلت أوى اليه مدود فى المستقبل على وزن أفعل ، فأما إذا كنت أنت الذى تؤويه أى تضمه فتقول آويته بالمد على وزن أفعلته آويته لإيواء على وزن إفعالا قال الله عز وجل : (وفصيلته التى تؤويه) أى تضمه وقوله : مألَف : المألَف الموضع الذى يجمع فيه الأجباب كأنه يؤلفهم فلذلك سمي مألَفا . العقاة : الفقراء واحدهم عاف مثل قاض وقضاة . القرى : الضيافة وقوله : يدعو العقاة : أى يندبهم ضوؤها ، والكرام من العرب يوقدون النار ليستدل بها على أمكنتهم قال حاتم طي : يخاطب غلاماً له :

أوقد فان الليل ليل قر والريح يا واقد ريح صر

عل يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفاً فأت حر

وهذا أجود ما روى فى هذا المعنى .

[المعنى] وكَم من طارق فى صحراء مسيرى المقفرة إلا منى ومن صحبى ، يؤنسه عواء الذنب الصارخ من شدة الجوع المضى لفقده من يأس به من بنى الإنسان والحيوان المستأنس وهو سائر فى هذه البيداء المترامية الأطراف ، والفجاج الواسعة الخاوية المخيفة ، أوى وانعطف إلى نارى المتأججة المضيئة فى أعلى مكان فى هذا القفر ، يدعو ضوؤها العقاة وطالبي الرشد إلى الكرم بالشواء وما إليه من حلوى ومرطبات بنفس سمحة ووجه هاش باش ، يجعلان العقاة يأنفون وردها كلما تأججت وأضاءت .

لِلَّهِ مَا طَيْفُ خَيَالٍ زَائِرٍ تَرْفُهُ لِلْقَلْبِ أَحْلَامُ الرُّؤَى^(١)
يَجُوبُ أَجْوَازَ الْفَلَاحِ مُحْتَقِرًا هَوًى دُجَى اللَّيْلِ إِذَا اللَّيْلِ أَنْبَرَى^(٢)
سَائِلُهُ إِنْ أَفْصَحَ عَنْ أَنْبَاءِهِ أُنَى تَسْدَى اللَّيْلِ أَمْ أَنَّى أَهْتَدَى^(٣)

(١) قوله : لله ما طيف : اللام في هذا بمعنى التعجب يقال : لله زيد ما أكمله في جميع حالاته او ما زائدة . والتقدير لله طيف خيال : والطيف ما يراه الإنسان النائم في صورة محبوبه ، والخيال الشخص الذي يتخيل لك . ترفه : تحمله من قولك زفقت العروس إلى زوجها أزفها إذا حملتها إليه . الأحلام : جمع حلم . الرؤى : جمع الرؤيا .

(٢) يجوب : أى يقطع من قول الله عز وجل : (ونمود الذين جابوا الصخر بالواد) . أجواز الفلا : أوساطها وهى جمع جوز . الفلا : جمع فلاة وهى القفر من الأرض . محترقا : أى مستصغرا . الهول : الشدة وجمعه أهوال . دجى الليل : والدجى الظلمة وهى جمع دجية . أنبرى : اعترض ينبرى أنبراء فهو منبر واسم المفعول منبرى إليه .

[المعنى] ما أعجب وأطف وأظرف طيف خيال المحبوب إذا زار ترفه أحلام الرؤى المنامية إلى القلب المشوق المتلهف لرؤيا بحياه ، وسماع أنبائه ، والوقوف على أحواله . يجوب أى يقطع أوساط الفلاة المقفرة مستصغرا شدة مسرى الليل ، ووحشة الطريق لفقد المؤنس ، يحينى وأحييه .

(٣) قوله : سائله : يعنى الخيال . عن أنبائه : أى عن أخباره وروايد الأنباء نبأ . إن أفصح : أى إن أبان يقال أفصح يفصح إفصاحاً فهو مفصح وقوله : أنى : أى كيف ، ومنه قول الله عز وجل : (أنى لك هذا) أى من أين لك هذا . تسدى : أى امتد فى السير . وقيل تسدى الليل نطح الليل بالسير . يقال سديت الوادى إذا قطعته ويقال تسدى ركب ، يقال تسديت الشئ . أتسداء تسدياً إذا ركبته وعلوت عليه . ومنه قول امرئ القيس :
فلما دنوت تسديتها فتوباً نسيت وثوباً آخر

أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا مَا فَارِسٌ وَمَا مَوَامِيهَا الْقِفَارَ وَالْقُرَى^(١)
وَسَائِلِي بِمَنْزَعِي عَنِ وَطَنٍ مَا ضَاقَ بِي جَنَابُهُ وَلَا نَبَأٌ^(٢)

وكونه بمعنى قطع أحسن في بيت ابن دريد . وكذلك أم أنى اهتدى :
معناه من أين اهتدى لزيارتنا واهتدى استدل ، ومعنى اهتدى في الدين استدل
على طريق الحق والرشد .

(١) قوله : أَوْ كَانَ يَدْرِي قَبْلَهَا : يريد قبل هذه الزورة ثم أضمر وجاء
بالمضمر لأن سياق الكلام يدل على الضمير وقوله : مَا فَارِس : يريد ما أرض
فارس فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، وهذا كثير في القرآن ،
وفي لسان العرب ، من ذلك قوله عز وجل : (واسأل القرية التي كنا فيها
والعير التي أقبلنا فيها) أراد واسأل أهل القرية وأهل العير فحذف ، وكان
أبو بكر رحمه الله قال هذه القصيدة بعد خروجه من البصرة وهو بأرض
فارس فمدح بها ابن ميكال وابنه . الموامى : القفار واحدا مومة . القرى :
المدن واحدا قرية :

[المعنى] سألته بعد التحية والبشرى ببقياه إن أبان في إخباره وأفصح في بيانه
كيف قطع الدليل المظلم في هذه المومة الموحشة ؟ أو كيف اهتدى إلى موضعنا
مع وعورة المسلك وبعد الشقة ؟ ثم ما علم قبلها من الفوارس التي تقطع
هذه القوائم ؟ وما قفارها والقرى التي تقع في خواشيتها وأطرافها ؟
والحل على معنى علمه للفوارس خيز من تقدير المضاف المحوج للنجوز .

(٢) قوله : سَائِلِي : أضاف وهو يريد الانفصال وذلك أنه جعله نكرة
لأن الواو بمعنى رب ، أراد وسائل فأضاف ، وبما أضيف ومعناه الانفصال
قول الله تبارك وتعالى : (كل نفس ذائقة الموت) وكذلك (هديا بالغ
الكعبة) أى كل نفس ذائقة الموت ، وهديا بالغ الكعبة وكذلك تقول مررت
برجل ضارب زيد تريد ضارب زيدا ففعلت به الرجل وجعلته نكرة . وإن كان

قُلْتُ الْقَضَاءُ مَا لَكَ أَمَرَ الْفَتَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي وَمِنْ حَيْثُ دَرَى لَا تَسْأَلُنِي وَأَسْأَلُ الْمِقْدَارَ هَلْ يَعْصِمُ مِنْهُ وَزَرٌّ وَمُزْدَرَى^(١)

مضافاً إلى معرفة لأنك تنوى فيه الانفصال وقوله : بمزجى : أى بمزجى ومخرجى ، والباء فيه بمعنى عن كأنه قال وسألتى عن مزجى ، والعرب تقول رب سائلى بزبد أى عن زيد . الوطن : المحل وجمعه أوطان . الجناب : بفتح الجيم الناحية . ولا نبا : أى ولا ضاق ، يقال نبا ينبو نبوة فهو ناب .

[المعنى] ورب سائل لى عن الذى أزججنى وأخرجنى من وطن عزيز على لم تضق بى نواحيه ، ولا نبت بى رحبته ، فأقول إن خروجى منه لا لقل منى له ، ولا لجفاء أهله لى ، بل قضاء الله فى تنقل الفتى من مكان إلى مكان أمر لا شك فيه كقضائه فى الآجال والأرزاق شعر المرء بذلك أم لم يشعر ، أقر وآمن أم لم يقر ، وقد قال الله الكريم لنبيه المفضل صلى الله عليه وسلم : (قل لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) صدق الله ورسوله .

(١) قوله : لا تسألنى : يخاطب السائل الذى حكى عنه سؤاله عن انزعاجه عن وطنه . المقدار : القدر وهو ما قدر على الإنسان من خير وشر ثم قال : هل يعصم منه : أى يمنع منه يعنى من القدر ، ومنه قول الله عز وجل : (لا عاصم اليوم من أمر الله) أى لا مانع . الوزر : الملجأ . وجمعه أوزار وقوله : أو مذدرى : أى مكان مرتفع مانع وهو من الذروة ، والذروة أعلى الجبل ، وقيل أو مذدرى أراد به أو جانباً عزيزاً من قولهم فلان فى ذرى فلان بفتح الذال أى فى جانبه . كأنه قال لا يعصمه ملجأ ولا جانب عزيز مانع ، ويروى بالبدال غير المعجمة ، والمذرى المدفع . وهو من درأت أى دفعت .

لَا بُدَّ أَنْ يَلْقَى أَمْرُو مَا خَطَّهُ ذُو الْعَرْشِ مِمَّا هُوَ لَاقٍ وَوَحَى^(١)
لَا غَرَوْ أَنْ لَجَّ زَمَانٌ جَائِرٌ فَاعْتَرَقَ الْعَظَمَ الْمِخْ وَأَنْتَقَى^(٢)
فَقَدْ تَرَى الْقَاحِلَ مُخَضَّرًا وَقَدْ تَلَقَّى أَخَا الْإِقْتَارِ يَوْمَ مَا قَدْ نَمَّا^(٣)

(١) قوله : لا بد أن يلقى امرؤ ما خطه ذو العرش : يريد ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وقوله : ووحي : معطوف على خطه ، ومعنى وحي كتب يقال وحي يحيى وحيا إذا كتب .

(٢) لا غرو : أى لا عجب . لج زمان : عرض زمان . فاعترق العظم : أى أزال عنه اللحم . الممخ : الذى فيه المخ . انتقى : استخرج منه النقى وهو المخ .

(٣) القاحل : اليايس . أخوال الإقتار : المقل من المال . نما : زاد واستغنى .
[المعنى] لا تسألنى عن سبب خروجى منه على الرغم منى فإنى لا أعرف سببا ظاهرا غير القدر المحتم ، والقضاء المبرم ، فاسأل بدلى القدر هل يمنع شئ من نفاذه على أى مخلوق ولو كان ملكا له وزر ونصراء ، وحصون شماء ؟ أولن تجد جوابا على سؤالك إلا سلبا ، حيث لا بد أن يلقى المرء ما قدر عليه وكتب له فى اللوح المحفوظ ألا . ثم لا عجب أن يلع الزمان على ذى الفتوة فيرمى عليه بأعباء أحمال يقال ينوء بحملها منه ، ويعي بها كاهله ، فيذيب شحمه ولحمه ، حتى يبين منه العظم الممخ ، وإنما يختار الزمان ، وينتقى للحمل أثقاله من شرف حسبه وسما قدره وقد يرفع أخط بنى الإنسان صيادين السمك ، وكم له من العجائب والغرائب ، فقد ترى القاحل من الأرض مخضرا ، واليايس نظرا وقتاما ، كما قد ترى المقل المعدم أثرى واغنى ، وصار ذا أمات ورياش وبناء ، فليس للدهر مقياس ، ولا لأحوال الناس المتغيرة أساس ، وإنما هو القدر ، والله فى صنعه حكم بالغة .

يَا هُوَلِيًّا هَلْ نَشَدْتُنْ لَنَا نَاقِبَةَ الْبَرْقِعِ عَنْ عَيْنِي طَلًّا^(١)
مَا أَنْصَفْتَ أُمَّ الصَّيِّتَيْنِ الَّتِي أَصَبْتَ أَخَا الْحِلْمِ وَلَمَّا يُصْطَبِي^(٢)
إِسْتَحْيَ بِيضًا بَيْنَ أَفْوَادِكَ أَنْ يَقْتَادَكَ الْبَيْضُ اقْتِيَادَ الْمُهْتَدَى^(٣)

(١) وقوله يا هولييا تصغير هؤلاء . نشدتن : أى طلبتن ، وقيل نشدتن عرفت من قولهم نشدت الضالة إذا عرقتها . ناقبة البرقع : أى مغطية البرقع والمتقنة به ، ويروى رافعة البرقع أى التى إذا رفعت البرقع عن وجهها رفعتة عن عيني طلا : ويروى أيضا ناقبة البرقع بناء مثلكه يريد المضيفة الوجه ومنه قوله عز وجل : (والنجم الثاقب) والطلا بفتح الطاء ولد البقرة الوحشية وجمعه أطلاء .

(٢) قوله : ما أنصفت أم الصييين : هذا لفظ تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة ، وقيل أم الصييين . يعنى بالصييين العيينين سميا بذلك للشخص الذى يرى فيهما كالصييين وهو الذى يسمى انسان العين وهذا قول حسن ، ويرى الصييين بضم الصاد وهما الخرصان اللذان يكونان فى الأذنين وقوله : أصبت أخا الحلم : أى ردتة إلى الصبا وهو اللهو . الحلم : العقل . لما يصطبي : أى لم يرد إلى الصبا ، فلما هنا بمعنى لم يرد قبل ذلك إلى الصبا .

[المعنى] يا هؤلاء الكواعب ، والفتيات الغيد الحسان هل طلبتن لنا زافعة البرقع فتسفر عن وجه كالقمر ، وعينين سوداوين نجلاوين ، كعيني ولد البقرة الوحشية فينعمشنا حضورها ، ويبعث فينا ريا الحياة منظرها ، فيرجع للشيخ صباه ١٩ ثم استدرك كأنه لا يرضى بالتشبب على الكبير فقال . ما أنصفت الخ يعنى لم تضع العدل فى نصابه ، والانصاف فى مكانه ، تلك الفتاة الساحرة بعينها ، حين ترجع بالشيخ إلى شأن الصبا ، فتشغل قلبه بالحسان ، واللهو فى غير الألوان ، وقد فات الزمان ١١١

(٣) قوله : استحى : فعل أمر هو من الحياء الذى هو ضد القحة وقوله

هَيْهَاتَ مَا أَسْفَعَ هَاتَا زَلَّةً أَطْرَبًا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَالْجَلَا^(١)

بيضاً : أراد من يبيض فلما أسقط من تعدى الفعل فنصب ، والبيض الأول هو الشيب ، والبيض الثاني النساء يخاطب نفسه ويعاتبها يقول استحي من شيبك أن تستميلك النساء فيردنك من طريق الحلم إلى التصابي وقوله : بين أفوداك : أفوداك جمع فود ، والفودان جانباً الرأس أى ناحيته من يمين وشمال . يقتادك : يقودك أى يسوقك . اقتياد : سوق : المهتدى : الأسير ويروى المعتدى أيضاً بالقاء وهو الأسير ، ويروى المعتدى بالعين غير المعجمة ، يريد المعتدى عليه فيكتفى بعلم المخاطب من الصلة وهو قبيح ، والمعتدى عليه هو المظلوم الذى اعتدى عليه قال الله عز وجل : (فمن اعتدى عليه فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)

(١) هيهات : كلمة تبعيد ، وهاتا للمؤنث بمنزلة هذا للذكر ، ويروى ما أشنعها نازلة أى ما أشنع هذه النازلة نازلة . وأشنع : أقبح ، الزلة : الخطيئة والسقطة والنازلة المصيبة تنزل بالإنسان ، ثم قال : أطرباً على المصدر كأنه قال أطرب طرباً بعد المشيب والطرب فى هذا الموضع الفرح والطرب خفة تصيب الرجل عند شدة السرور أو عند شدة الجزع الجلا : بفتح الجيم مقصوراً انحسار الشعر عن مقدم الرأس .

[المعنى] ألا رجوع عن الحسان وقد شبت ١١ أى ينبغي أن يدرك الشيخ الحياء من شيب فودى رأسه من أن يكون مقتاداً بخطامه كالبهايم تجره بزمامه النساء البيض ، كما يجر الحيوان أو الأسير فلا يملك الأوبة حين تجب التوبة ، هيهات أى بعد الرجوع بعد امتلاء القلب بحب منادمة الآنسات والطرب بمغازلة حسان الفتيات ، ثم ما أقبح تعاق المرء بالنساء ، وقد ابيض الشعر وصار الرأس أصلع ١١١ أطرباً يجوز مع المشيب والصلع وهو نذير انتهاء الحياة ، ورسول الموت ، وإعلان الاستعداد إلى مقابلة الخالق بالعمل المرضى من الصالحات ، وأنواع العبادات ١١١ .

يَا رَبِّ لَيْلٍ جَمَعْتَ قِطْرِي لِي بِنْتُ ثَمَانِينَ عَرُوسًا تُجْتَلَى ^(١)
لَمْ يَمْلِكِ الْمَاءُ عَلَيْهَا أَمْرَهَا وَلَمْ يُدْنَسْهَا الضَّرَامُ الْمُحْتَضَى ^(٢)
حِينَا هِيَ الدَّاءُ وَأَخْيَانَا بِهَا مِنْ دَائِهَا إِذَا يَهِيْجُ يُشْتَقَى

(١) قوله : جمعت قطريه : أى جانيه وهما هنا الطرفان أول الليل وآخره .
بنت ثمانين : ههنا الخمر وإنما سماها بنت ثمانين لأنه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة . تجلى : تجلى من جلوت للعروس وهو إظهارها .
(٢) قوله : لم يملك الماء عليها أمرها : يريد لم يمزج ببناء فتسكسر حذتها وسورتها . ولم يدنسها . لم يغيرها . الضرام : الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ . المحتضى : العود الذى تحرك به النار وهو من قولهم حضأت النار إذا حركتها وأحضأتها إذا أشعلتها ومنه قول الشاعر :
ونار قد حضأت بعيد وهن بدار ما أريد بها مقاما
وقيل الضرام : النار المضربة والمحتضى المحرك .

[المعنى] أتمنى ليلا يجمع لي أوله وآخره بنت الحان ، وأناها نشوان ،
تقدم لي كالعروس المجلوة لم يمزجها الساقى بالماء ، بل يملأها في الكأس صرفا ،
وهي في دنيا خالصة من الغصون الذيقة التي تغير طعمها ، حينما تكون داء
إذا مغضت بها الأمعاء ، وتهيجت الصفراء فترمى بشاربها السكير في الحضيض ،
وحينما يشتقى بها إذا أثرت الصفراء على الدورة الدموية فيشر بها لينسى الألم
الناشئ من دائها ، وأراد بينت الثمانين المعتقد كناية عن طول مقامها بدنها -
وعلاوة الأزدد وإن اتهم بحبه للخمر في صباه فلن يكون قوله هذا استحسانا
لها وقد شاخ ، وإنما هو تغزل على جرى عادة العرب فيها ولا يمكن أن يجهل
وهو العلامة أنها داء بلا شفاء . ونقص بلا جبر ، وعاتور الرجال ، وهوة
الأبطال ، ومبادة الشر ، وأم الخبائث ، أعاذنا الله منها ومن أهلها وقد أجمع
الاطباء على ضررها بالعقل والكبد والنسل ، بله الخلق .

قَدْ صَانَهَا الْخَمَارُ لَمَّا اخْتَارَهَا صَنَّا بِهَا عَلَى سِوَاهُ وَأَخْتَبَى ^(١)
 فَهِيَ تُرَى مِنْ طُولِ عَهْدٍ إِنْ بَدَتْ فِي كَأْسِهَا لِأَعْيُنِ النَّاسِ كَلَا ^(٢)
 كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ فِي ذُرُورِهَا بِفِعْلِهَا فِي الصَّحْنِ وَالْكَأْسِ أَقْتَدَى ^(٣)
 نَازَعَتْهَا أَرْوَعٌ لَا تَسْطُو عَلَى نَدِيمِهِ شِرَّتُهُ إِذَا أَنْتَشَى ^(٤)

(١) قد صانها الخمار : أى حفظها . صنا : أى بخلا . واختبى : وخبى
 أى ستر .

(٢) قوله : كلا : أى عمى يعنى أنه يعمى من نظر إليها فكيف من شربها !
 [المعنى] احتفظ بها الخمار ، وحافظ عليها ، لما اصطفاها لنفسه ، وضمن
 بها لنفاستها على غيره ، فهي ترى فى كأسها سوداء مظلمة من طول عهدها
 وتعتيقها كظلام عمى الأعين يريد كالسواد الغريب ، والعرب فى جاهليتها
 كانت تحب المعتقد وتعتنى بها ، وتعتنى فى شربها ، ولهذا بالغ فيها علامة الأزد
 على مجرى عادتهم - وليس المعنى أن من نظر إليها يعمى فكيف بمن شربها
 كما يقول الشارح العلامة عليه الرحمة ، ولصاحب المعلقة يتغزل فى المعتقد :

أَلَا هِيَ بِصَحْنِكَ فَاصْبِحْنَا وَلَا تَبْقَى خَمُورُ الْإِنْدَرِينَا
 مَعْتَقَةٌ كَأَنَّ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْحَصَّ خَالَطَهَا نُحْنَا

(٣) قرن الشمس : أى شعاعها . ذرورها : بالذال المعجمة طلوعها يقال
 ذرت الشمس إذا طلعت ، ومنه لا أكلبك ما ذر شارق ، أى ماطلع نجم
 الصحن : القدر الكبير الواسع . والكأس : القدر إذا كان فيه خمر ومعنى
 اقتدى : اتبع أثره .

(٤) نازعتها : أى ناولتها وأدرتها من قول الله عز وجل : (يتنازعون فيها
 كأساً) الأروع : الحسن المنظر الجميل . لا تسطو : لا تعدو مأخوذ من السطوة
 يقال سطا يسطو سطوة إذا عدا عليه . النديم : الصاحب . الشدة : الحدة .
 أنتشى : سكر .

كَأَنَّ نَوْرَ الرُّؤُوسِ نَظْمٌ لَفْظُهُ مَرْتَجِلًا أَوْ مُنْشِدًا أَوْ إِنْ شَدَا^(١)
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ وَالْمَرْءُ يَبْقَى بَعْدَهُ حُسْنُ الثَّنَا^(٢)

[المعنى] كأن شعاع الشمس حين طلوعها مشرقة ليس دون قرصها سحب فانتشر منه السنا بضئ الأفق وتبع في هذا الانتشار أثرها في الصحن الواسع والقذح الصغير وهي تسيل فيهما وتتماع ناولتها في صفها أو كأنها نديمي الجليل الظريف ، وهولها ألوف متعود ، لا تسطو عليه شدته الخ أى لا تؤثر على عقله وحواسه حدة الخمر إذا سكر ، بل يملك مع الشراب قواه ، ويظل ينادم كالذى آمنه .

(١) النور : الزهر . المرتجل : الذى يأتى بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد . أو منشداً : أى منشداً للشعر . أو إن شدا : أى أو إن تعلم شيئاً من العلم ، وقيل أو إن شدا أو إن غنى ، وهو أجود وأليق بالمعنى لأن هذه الأحوال التى وصفها أحوال طرب لا أحوال طلب فلا معنى هنا لطلب العلم ، والشادى فى كلام العرب المعنى ، والشدو الغناء يقال شدا يشدو شدوا إذا غنى .

(٢) من كل ما نال الفتى قد نلته : أى من كل ما طلب الفتى فأدركه طلبته فأدر كته من خير أو شر . الثنا : هنا مقصور يكتب بالالف لأنه من ثنا عليه كلاماً حسناً أو قبيحاً ينشؤه ثناً ، وهو بتقديم النون على الثاء إذا تكلم فى جانب المذكور بذلك الكلام ، فأما الثناء بتقديم الثاء على النون ممدوداً فلا يكون إلا فى الخير خاصة ، قال الشاعر فى الثنا الذى يكون للخير والشر :

ولو عن ثنا غيره جاءنى وجرح اللسان كجرح اليد

وقال الآخر فى الثناء الذى يكون للخير خاصة :

هذا الثناء فإن تسمع به حسناً فلم أعرض - أبيت اللعن - بالصفد

فَإِنْ أُمْتُ فَقَدْ تَنَاهَتْ لَذَّتِي وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ أَتَتْهُ (١)
وَأِنْ أَعِشْ صَاحِبْتُ دَهْرِي عَالِمًا بِمَا انْطَوَى مِنْ صَرْفِهِ وَمَا انْتَشَى (٢)
حَاشَا لِمَا أَسَارَهُ فِي الْحَجَا وَالْحَلْمُ أَنْ أَتْبَعَ رُؤَادَ الْخَنَاءِ (٣)

[المعنى] كَانَتْ أَلْفَاظُ نَدِيمِي الْحَسَنَ الْجَمِيلَ نَاطِلًا لِنَفْسِهِ عَلَى الْبَدِيهَةِ أَوْ نَاطِرًا، مُنْشِدًا لَغَيْرِهِ أَوْ مَغْنِيًا، زَهَرَ الرِّيَاضُ الْبَهِيْجَ يَضُمُّ مَعَ حَسَنِ الرِّوَاءِ بَدَاعَةَ التَّنْسِيقِ، وَلَطَافَةَ الْعَبِيرِ، ثُمَّ قَالَ: مَا فَاتَنِي شَيْءٌ مِنْ لَذَائِدِ دُنْيَايَ، بَلْ كُلُّ مَا نَالَهُ الْفَتَى الْهَمَامُ الْمُنْزَهَ قَدْ نَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يَبْقَى لِلْمَرْءِ بَعْدَ فِرَاقِهِ بِالْمُنَى أَوِ الْمَوْتِ حَسَنُ الْآحُدُوَّةِ وَطِيبُ الْخَبَرِ.

(١) تناهت لذتي: بلغت النهاية وهي الغاية. الحد: هو الشيء الذي لا يتجاوز.

(٢) وقوله: بما انطوى من صرفه وما انتشى: انطوى استتر وانتشى ظهر وهو بالشين المعجمة، والمستقبل تنتشى، وصرف الدهر تقلبه.

[المعنى] إِنْ وَافَقَانِي أَجَلِي، وَعَاجَلْتَنِي مَنِيْقِي فَلَسْتُ بِأَسْفَ عَلَى فَوَاتِ لَذَّةٍ لَمْ أَتْلُهَا، فَقَدْ نَلْتُ كُلَّ مَا أَمْنِي مِنْهَا، وَبَلَغْتُ فِيهَا الْغَايَةَ، وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْغَايَةَ الْقَصْوَى، وَالنَّهْيَةَ الْعُلْيَا أَتَمَّ نَمُوهُ، وَوَقَفَ رَقِيهِ، وَإِنْ أَمَدَّتْ حَيَاتِي، وَطَالَ بَعْدُ تِلْكَ الْغَايَةَ أَجَلِي صَاحِبْتُ دَهْرِي وَأَنَا بِسَائِرِ أَحْوَالِهِ خَيْرَهَا وَشَرِّهَا، وَنَفْعِهَا وَضَرِّهَا، خَيْرٌ وَعَلِيمٌ، فَلَنْ أَضْرُسَ بَعْدَ هَذِهِ الْخُبْرَةِ وَتِلْكَ التَّجَارِبِ بِأَنْبِيَائِهِ، وَلَنْ أُرْطَأَ بِمِيسَمِهِ.

(٣) حاشا: كلمة تبرئة والتبرئة نفي الدنس عن ذات المخاطب، قال الله عز وجل: (وَلَنْ حَاشَا لِلَّهِ). أسأره: أبقاه ومنه الحديث: إِذَا شَرِبْتُمْ فَاسْتُرُوا، أَيْ ابْقُوا فِي الْإِنَاءِ بَقِيَّةً، وَالسُّورُ الْبَقِيَّةُ. الحجاء: العقل. الحلم: التغافل عن كل مكروه يقابل به ويواجهه. الرواد: جمع رائد، ورائد القوم رسولهم الذي يرتاد لهم موضع الكلاء أي يطلبهم. الكلاء: العشب. الخناء: الفحش في النطق.

أَوْ أَنْ أَرَى لِنِكَبَةٍ مُخْتَضِمًا أَوْ لِإِبْتِهَاجٍ فَرِحًا وَمُزْدَهَى^(١)

(١) أو أن أرى مختضما : أى متذللا . النكبة : المصيبة الحادثة .
الإبتهاج : السرور . المزدهى : المستخف وقيل المعجب .

[المعنى] أبرىء نفسى - وأنا بمقدارها عليم وخبير ، وعلى شرفها وكرامتها حارس ورفيق من أن أتبع قواد الخنا ، وما يخل بالكرامة من كل منقص ، قل أو أكثر ، عظم جرمه أو حقر ، بفضل ما أبقاء فى قلبى وبثه فى روحى ودمى عقلى الراجح ، وحلى الذى عودنى أن أكون الكريم المتسامح :

فأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكريما
كما أربأ بنفسى أن أكون ذليلا لنكبة دهمت ، ومصيبة ألت ، أو أن
أرخصى لها العنان فتزبد فى بهجتها ، أو تغتر فتعجب بنفسها بعد ما قال الله
لقارون وقد أعطى كنوز الأرض وجاها وخداما وحشما (ولا تمش فى
الأرض مرفحا إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) وقول
ذى الأصبع العدواني :

وذى ضغن قلت أظفار ضغنه بحلى عنه وهو ليس له حلم
لهذا أوطن النفس على سلوك سبيل الاعتدال ، وأوقفها عند حد الكمال ،
فتوفر وتحمى .

وإلى هنا ينتهى ما علقناه على المقصورة من الشرح المالحق ، وعلنا
نسكون قد وفقنا لبيان ماهو فى بعض ثنائياها مخلق ، وما يجب أن يكتب عليه
ويعلق ، خدمة لرواد الأدب والعلم الشريف ، من أخيه المفتقر إلى دعائهم
الصالح عيد بن الوصيف ، الكردي أصلا وأرومة ، المصرى جنسية ،
الأزهري معهدا وتربية ، القرشى حسبا ونسبا .

اللهم انفع بهذا الشرح وأصله من تلقاها بقبول حسن ، واكفنا وإياه
وناشريهما وسائر المسلمين سائر الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، واجعلنا وإياهم
من المتقين الذين تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك
اللهم وتحتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

قال جمال الدين بن الجوزى ملغزاً في مقصورة ابن دريد :

ما يقول سيدنا إمام أئمة الأمصار * وصدر صدور الأقطار * وجامع
مسانيد السير والأخبار * في عروس جلبيت في سانة على بعلين * وزفت في
ليلة إلى محلين * خطباها بظهور السباح * لا بصدر الرماح * وملكها بحل
الصباح * لا بعقد النكاح * افترعاها في الملا فلم يكن على أيها ولا عليها من
جناح * وهى من المشهورات في الأنام * والمقصورات لا في الخيام * بأسقة
الفرع ثابتة الأصل * فائزة عند النضال بالفضل * جامعة المناقب والفضائل *
ساحبة ذيل البلاغة على سحبان وائل ١٤

ومما ينسب إلى ابن دريد أيضاً رحمه الله

لا تركزن إلى الهوى واحذر مفارقة الهوى
يوماً تسير إلى الثرى ويفوز غيرك بالثراء
كم من حفير في رجي بئر لمنقطع الرجاء
غطى عليه بالصفاء أهل المودة والصفاء
ذهب الفتى عن أهله أين الفتى من الفتاء
زال السنا عن ناظره وزال عن شرف السناء
ما زال يلتمس الخلا حتى توحد في الخلا
قطع الفساد منه الزمان فلم يتمتع بالنساء
وأرى العشا في العين أكثر ما يكون من العشاء
وأرى الخوى بذكى عقو لذوى التفكير في الخواء
ولرب ممنوع العرى ولسوف ينبذ في العراء

من خاف من أم الحفا فليجنب مشى الحفاء
كم من توارى بالنقى بعد النظافة والنقاء
وأخوال الغرى من لا يزا ل بما يضر أخا غراء
إن الحياة مع الحيا وأرى البهاء مع الحياء
عقل الكبير من الورى فى الصالحات من الوراء
لو تعلم الشاة البخا منها لجدت فى البخاء
وأرى الدوى طول السقا م فلا تفرط فى الدواء
وإذا سمعت وحي الزما ن فلا تفرط فى الوحاء
فلربما ساق السفا نحو السفى أهل السفاء
يا ابن البرى إن البرية لا تجيئك بالبراء
وأراك قد حال العمى ما بين عينك والعماء
فانظر لعينك فى الجلا إن خفت من يوم الجلاء
وكل الغنى إن لم تجد حالا فأنت إلى الفناء
فلربما أدى القضا متروديه إلى القضاء
فالمرء أشبه بالعفا إن لم يفكر فى العفاء
فارغب لربك فى الجدا ما أنت عنه ذو جداء
وكانما ربح الصبا تجرى بطلاب الصباء
وكانهم معز الآبا أو كالخطام من الآبا
وأرى الغنى يدعو الغنى إلى الملاهى والغناء
فاهرب هديت من الذكا إن كنت من أهل الذكا
سيضيق متسع الفلا بالخرجين من الفلاء
توصى وعقلك فى بدا فلذاك رأيك فى بداء

باعوا التيقظ بالكرى فعقولهم بذوى كراء
كم من عظام باللوى قد فارقت خفق اللواء
يمضى الأنا بعد الأنا والعمر فى ماء الأنا
ولربما فضح الرجا لذوى اللحي كشف الرجا
ولربما صاد العدى والسيف فى صيد العدا
ولرب مهجور البنا بعد التائق فى البناء
وسيستوى أهل الكبي وذوى التعطر والكباء
ولرب ماء ذى روى يحتاج فيه إلى رواء
